

مواطنة عالمية.. أم غربية
”رؤية نقدية من منظور تربوي”

إعداد

أ.د/ أميرة عبدالسلام زايد
أستاذ أصول التربية
ووكيل كلية التربية لشئون خدمة المجتمع
وتنمية البيئة - جامعة كفر الشيخ

Blind Reviewed Journal

مقدمة:

تعد صياغة المفاهيم أمر في غاية الأهمية حيث يرتبط بعمق هوية وثقافة المجتمع ، ولذلك فإن بحث جذور نشأة وتطور المفاهيم أمر في غاية الأهمية للتعرف على الفلسفة الكامنة خلف المفهوم والمرجعيات النهائية الحاكمة لتطوره وغائياته في المجتمع الذي نشأ فيه وأهداف نشره وغرسه في ثقافة المجتمعات الأخرى.

ويُعد غياب العقلية النقدية القادرة على التنفيذ والتمييز أمر خطير يقود إلى العديد من الإشكاليات في كافة المجالات ، من أبرزها في مجتمعنا المعاصر ما يحدث من خلط وتشويش في فهم الدين من خلال فتاوى غير المتخصصين ونشر المفاهيم التي لا ترتبط بصحيح الدين ، هذا بالإضافة إلى الشائعات (حروب الجيل الرابع وما تلاه من أشكال أخرى أكثر خطورة) ، التي تروج للأفكار الهدامة خاصة لدى الأطفال والشباب من خلال توظيف التكنولوجيا التي بين أيديهم. وهذا ما يحدث أيضا في المجالات الأخرى كما في المجال السياسي من خلال تسويق المفاهيم السياسية التي تصب في مصلحة صانعيها والمروجين لها ، حيث التأثير على العقول وأخلاق الناس ، وإحداث هزة في قيمهم وزعزعة الثقة في ثوابتهم ، وكل ما يقود إلى عدم القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم ، والوصول إلى مناخ عام من الخلط في المفاهيم يسوده التعمية والتشويش على الحقيقة وتغييب العقل وتسطيح قدر الإمكان ، فتعيش المجتمعات في حالة من السيولة واللاتحدد وهي سمات تتصف بها الفلسفات المادية ضد الإنسانية مثل ما بعد الحداثة ووجهها العلماني.

وهذا يتطلب جهود كبيرة من مؤسسات التربية والمجتمع في مواجهة هذه الضبابية للمفاهيم بشكل مستمر خاصة تلك المرتبطة بأهم القضايا العربية والإسلامية التي تخص بناء الإنسان العربي وتكوين شخصيته المتكاملة البناني والسليمة في أسسها ومرتكزات بنائها في ضوء الهوية والخصوصية المميزة لها تلك الهوية الراسخة الأصول والمتجددة الفروع ، وفي نفس الوقت لا تغفل روح العصر.

وتُعد قضية وضوح المفاهيم والوعي بها في كافة المجالات أمر على درجة عالية من الأهمية ، إذ لا يمكن التعامل مع قضية من القضايا من دون أن يتضح مفهومنا عنها والوعي بالمفاهيم المرتبطة بها وتضميناتها ودلالاتها ، كالتقنية والحرية والديمقراطية والثقة والسياسة

والأخلاق والتربية والمواطنة... وغيرها من المفاهيم التي تشكل عقولنا وتمثل الأساس الذي يدور حولها فكرنا وتصوراتنا وفهمنا للعديد من الأمور والقضايا المتشابكة ، وموقفنا منها.

هذا بالإضافة إلى المفاهيم التي تفد إلينا وقد نشأت وتطورت في تربة وسياق مجتمع غير مجتمعنا ولا ترتبط بخصوصيات ثقافتنا ، ولكل منها دلالات ومقاصد قد يختلف من علم لآخر أو من مهنة لأخرى أو من طبقة لأخرى في المجتمع الواحد أو من توجهات سياسية لأخرى مغايرة ، مع اختلاف المفاهيم في درجة ثباتها النسبي والاختلاف حولها من مجتمع لآخر وهكذا.

فقد أرجع "غليون" التناقض العميق داخل الثقافة العربية بين الآن والآخر بين الذاتية والعالمية ، إلى اختلاف مفاهيمي شكل عقل كل ثقافة بطريقة مختلفة ، حيث وصفه بأنه تناقض معذب ومثير للنزاع وللقلق الدائم. ويقترح بأن القضاء على هذا التناقض إما عن طريق تحويل العقل العربي إلى عقل غربي حديث أو العكس وثمره هذا القضاء مازالت ظاهرة . اغتراب العقل وانتعاش عقل الاغتراب (غليون ، ١٩٩٠ ، ٣٢١). وإذا كان هدف العولمة كما يرى "حامد عمار": تكوين النموذج العالمي للشخصية المنفصلة عن جذوها وهموم وطنها ، وبعبارة عن تنمية موارده تنمية ذاتية في المقام الأول (عمار ، ٢٠٠٠ ، ٧٦). فإن العولمة الآن المتخفية في ثوب العالمية خاصة الثقافية تمثل خطراً متجدداً على الخصوصية والهوية الثقافية مما يتطلب مواجهة هذا الخطر بالعلم والإبداع النقدي.

- والثقافة في عناصرها كما يرى "قمبر" تكشف عن نوعية الحياة في المجتمع ودرجة تطوره وسبيل نموه. فالمجتمع المتخلف هو مجتمع ثقافته متخلفة. وتختلف الثقافة يعني سوء وظيفية ثلاث نظم عاملة في بنية الثقافة التي يعيش بها المجتمع نظام معياري (القيم) ونظام سلوكي. ونظام إنتاجي ("قمبر ، ١٩٩٢ ، ٤٨). كما يُعد الوعي بما أثاره "مصطفى محمود" عن الفكرة في إطار مناقشته لأفكار الماركسية في كتابه "لماذا رفضت الماركسية" : "إن نجاح فكرة لا يعني دائما صوابها .. فقد تنتشر الأفكار الخاطئة لمجرد أنها تلقى ترحيبا من غرائز الناس وأهوائهم.. وما أسهل تحريض الجياع على الشبعانيين.. ثم أن النجاح في جانب لا يعني النجاح في كل جانب ، فقد تنجح الثورة في بناء مصنع ثم تفشل في بناء إنسان" (محمود ، ٢٠٠٨ ، ٢٤-٢٥).

فمثلاً فكرة "الجودة" فكرة صحيحة عبر العصور ومطلوب تحقيقها في كل المجالات ، إلا أن اخفاق تطبيقها في المسار الصحيح في العالم العربي خاصة في مجال التعليم أفقد الفكرة قيمتها. إذاً فالأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة اللغة والمفاهيم ..لذا كان البحث عن جذور مفهوم المواطنة العالمية وبداياته الفكرية والأهداف المرجوة منه وغيرها ، من أولويات العمل الحالي.

- بناءً على ماسبق يمكن عرض بعض المنطلقات الفكرية كما يلي:

١- أن المواطنة كفكرة وتطبيق ترتبط بالوطن عملية مطلوبة ومشروعة كما هي معروفة ، كما لا نرفض فكرة العالمية ولكن بمنطق وعقل احترام الخصوصية وسيادة الأوطان والهويات المتعددة.. ومنطق تحقيق التعارف والسلام العالمي العادل للجميع والذي يُسهم في تحقيقه الجميع. لا مجرد يوتوبيا جديدة يحلم بها أهل الجنوب ويُفرض عليهم وحدهم ثمنها بتقبل مزيد من الهيمنة بلا مقابل سوى المزيد من الاستنزاف للوعي والثروات وكأنها صورة ملتبسة للعلومة. (يتم التركيز في نشر تعليم المواطنة العالمية في دول العالم الثالث ، ففي تقارير اليونسكو نجد تطبيق للمواطنة العالمية على دول الجنوب مثل: أمريكا اللاتينية والكاريبي وبعض دول أفريقيا والعالم العربي في آسيا لبنان والأردن وفلسطين وسوريا والعراق)(*)

٢- أن انتماء الإنسان للبشرية أو الإنسانية لا يعني الذوبان فيها لحد النهاية بما يعني تهجير وتذويب المشاعر والعاطفة والوجدان والولاء من الوطن المحلي (الوطن الأم) إلى العالم الغربي أو تقبل مصالحه والتماهي بما يتجه إليه الوجدان الغربي كوطن وهمي أو افتراضي يدعي العالمية وهو ما يتماهى أساساً مع مجتمع ما بعد الحداثة وما يتسم به من سيولة واستحالة التحدد. وهذا لا يُعدّ عداء وعدم تقبل للآخر لكن يُعدّ وعياً بما يُمليه الآخر وما يُمكن تقبله وما يُمكن رفضه في العلاقات الدولية ، فهناك دوائر للانتماء لا يُمكن تجاهلها منها الانتماء العائلي أو القرابي والانتماء الديني والوطني والايديولوجي و...حتى نصل إلى الانتماء إلى البشرية كجزء وليس كل من دوائر الانتماء ، وهو ما يقتضي طبيعة معينة لوضع وشكل المواطنة.

(*)Robiulle Moul ,T. (2017). Promotion and implementation of global citizenship education in crisis situations education sector, United Nations Educational Scientific and Culture Organization, UNESCO, Education 2030.

٣- هناك إلتباس ما في مفهوم المواطنة العالمية ، كما يُوجد العديد من الإشكاليات المرتبطة به كموقع ومكانة ودلالات العديد من المفاهيم المرتبطة بالمواطنة ، كمفهوم الوطن والمواطن والوطنية والسيادة الوطنية وغيرها من معاني ومضامين تثير التساؤلات حول هذا المفهوم وتدعو إلى الحذر والحيطه قبل قبوله والتفاعل معه.

٤- لكل مفهوم جذور وفلسفة تكمن وراء نشأته وتطوره . كما أن هناك إيديولوجيا تحميه وتدافع عنه حيث السعي لتحقيق المصالح من وراء نشأته وتدعو إلى نشره وترسيخه في العقول ، وتحقيق أهدافه على مستوى التطبيق ، ووضعه في أجندة السياسات الدولية وتبأحثه وتضمنه تقارير المنظمات الدولية ، ليصبح موضوع قابل للقياس ويتم تصنيف الدول على أساس مدى امتثالها لتفعله..وهكذا تصير عمليات الضغط والاستلاب.

٥- تتبع المفاهيم ونقدها أمر غاية في الأهمية لمجتمعاتنا العربية في ظل ما يموج به العالم الآن من أحداث جسيمة (غربية في الأساس) خاصة ما يأتي من الغرب ، وذلك لشواهد عديده أنتجها مشروعه التحديثي المادي والذي دفع ثمن تقدمه (العلمي والتكنولوجي لا الروحي المعنوي والأخلاقي) ليس الإنسان الغربي فحسب هو من دفع الثمن بل العالم كله.

٦- هناك محددات لمفهوم الوطن ، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ولغوية وجغرافية وبشرية ونفسية ، كما أن للمواطنة في وطن ما نظام محدد من الحقوق والواجبات قد تختلف من وطن لآخر .

٧- قيمة وقوة أي فلسفة تُقاس بالمفاهيم التي تبدها أو تستوردها ولكن تجدد معانيها وتعمل على تطويرها وفهم دلالاتها وتضميناتها في السياق التي نشأت فيه ، حتى تستوعبها وتوطنها أو تستبعدا .

٨- المراجعة النقدية للمفاهيم مطلب ضروري حتى لا تتحول المفاهيم إلى حجر عسر في طريق الفكر ، وبدلا من أن تساعدنا على التفكير السليم ، تكون عائق من عوائقه.

وسوف يتناول العمل الحالي النقاط التالية:

أولاً: أسئلة استفتاحية نقدية.

ثانياً: الجذور الفكرية المرجعية لمفهوم المواطنة العالمية.

ثالثاً: دواعي ومبررات الوعي النقدي بالمفاهيم الغربية (المواطنة العالمية).

خاتمة عن: التربية وآليات تنمية الوعي النقدي بالمفاهيم الغربية.

أولاً: أسئلة استفتاحية نقدية.

يُعد ترويج الغرب لمفهوم المواطنة العالمية أمر طبيعي في سياق المشروع الحضاري الغربي (المادي - الليبرالي) وفلسفته المادية كالعلمانية / ما بعد الحداثة ، وما تفرزه من مفاهيم تتماهى مع غاياتها. وهذا الأمر يثير العديد من التساؤلات حول كل ما يتصل بالمعاني والأخلاق وكل ما لا يُمكن قياسه وتقديره مادياً والذي يحمل عمق وجوهر تحقيق إنسانية الإنسان ، حيث كل الأمور التي لا ترتبط بشكل أساسي بالربح إلا أنها تمثل للإنسان مسألة مصيرية في استقامة واستمرار حياته كإنسان ، مثل حاجته للدين وللأخلاق والمشاعر والمعاني الطيبة والقيم وغيرها. فأين مكان الدين والقيم وخصوصية المشاعر والخصوصية الثقافية من المواطنة العالمية؟

ويمكن طرح عدد كبير من الأسئلة المشروعة في هذا السياق كما يلي:

- ما جذور مفهوم المواطنة العالمية والفلسفة الكامنة خلفه ومن القائم بالترويج له؟ وما الهدف من ترسيخه على مستوى العالم؟
- ما علاقة هذا المفهوم بالواقع الذي يعيشه العالم الآن وما يموج فيه من تيارات فكرية (العولمة و بعد الحداثة والعلمانية وبعض المفاهيم المصاحبة له؟).
- ما القيم المحددة لملاح المواطنة العالمية والمواطن العالمي وما علاقتها بالمواطن المحلي والمواطنة المحلية؟
- أين يقع مكان ومكانة الوطن الأصل من المواطنة العالمية ولمن الإنتماء والولاء والحنين والعاطفة.. لأي مكان؟ خاصة إذا تعارضاً في المصالح وفي الهوية والخصوصية؟ أم سيكون هناك تهجير قسري أيضاً للمشاعر والأحاسيس والمعاني من المواطنة المحلية إلى العالمية؟

- إلى أي جزء من العالم ينتمي (الوطن أم العالم) إذا نشبت حرباً بينهما؟، ويدافع عن من ضد من؟ ولمن ينشد نشيد الحرية وبأي لغة ويُحرر الأرض من من؟
- وما موقف المنظمات الدولية والمواثيق الدولية؟ لمن سوف تفتح أبوابها وانصافها وعدلها (القوانين والمواثيق الدولية الحالية فيها من عدم الإنصاف والكيل بأكثر من مكيال كما نرى على أرض الواقع في قضايا عديدة) فما وجه الحماية التي تقدمها للمواطن المحلي "العالمي" وقضاياها؟
- ما مدلول كلمة وطن لغوياً واصطلاحياً؟ وهل هذا يكشف عن استبعاد لفظ (عالمية) من أن ترافقها في مفهوم واحد؟
- ما خصائص وسمات الوطن الذي بينه وبين المواطن علاقة تاريخية متلازمة ينتمي كل منها للآخر؟ وماذا تعني المواطنة وما يرتبط بها من حقوق وواجبات؟ وما علاقة كل هذا بالإشكاليات التي يعج بها واقع العلاقات الدولية (العالمية) من هجرة وأزمات وحروباً ومجاعات وارهاب وأزمات بيئية وغيرها، فما حقيقة التفاعل الدولي العالمي من منظور المواطنة تجاه تلك الإشكاليات؟؟
- يُعد مفهوم المواطنة العالمية من المفاهيم الغربية مثلها مثل العديد من المفاهيم التي يحاول بها الغرب ومن خلالها فرض سيطرته في صناعة عالم يدين له بالولاء، وينشر من خلالها قيمه وثقافته، وترويض الشعوب لخدمة مصالحه، وتتماهى معها بوعي أو غير وعي.. وتدفع تلك المجتمعات الثمن (الفواتير) من خصوصياتها وقيمها وذوبان ثقافتها وفكرها في إطار المشروع الغربي، مثلما تدفعه لتداعيات التقدم العلمي والتكنولوجي الآن في التغييرات المناخية، واستشراء المادية وغيرها من مخاطر وأزمات لحقت بالإنسان على هذا الكوكب.
- وإذا كان البعض يروج للمواطنة العالمية على أنها تعني إيمان الفرد بضرورة التعايش السلمي مع الثقافات الأخرى حول العالم وإلمامه بالقضايا وغيرها فإن ذلك لا بد أن يكون في حدود دائرة الانتماء لإنسانية الإنسان فقط، بحيث لا تحجب دوائر الانتماء الأخرى المتعددة، ويظل هناك خصوصية معززة وقيم ثقافية معبرة عن تلك الخصوصية قبل الانتقال إلى دائرة الإنسانية (أو العالمية).
- فالمواطنة العالمية Global citizenship تتصل بما يسمى بالثقافة الكونية والحضارة الإنسانية الواحدة، ووحدة المعرفة وغيرها من مفاهيم ذات صلة وتعود إلى نفس الإيديولوجيا والفلسفة.

وتستدعي المواطنة العالمية مفهوم (المواطن العالمي) و (الوطن العالمي) وما يترتب على ذلك من مقتضيات.. ولكن ما علاقة ذلك سياسياً مثلاً بالدولة الوطنية ، والسيادة الوطنية والهوية السياسية والتي تنعكس في علاقة الفرد بالدولة من ناحية حقوق وواجبات كل منهما؟ هذا وتم توجيه النقد لفكرة المواطنة العالمية في السياق الغربي أيضاً وإن كان بسبب بقائها متسعة إلى حد كبير ومربكة تاريخياً ولأنها أيضاً تعكس وجهات النظر " الغربية" من جانب واحد ، فهي مفهوم مستعار بالنسبة للآخر (UNESCO,2019).

وهل النموذج العالمي (الغربي) المادي الآن يستطيع أن يفسر ويتعامل مع قضايا العالم والمواطن في كل مكان مع التعدد الثقافي والعرقي، والتنوع البشري الكبير؟ وإلام الدعوة إلى التقدير والتنوع والتميز إذن إذا كان العالم كله سيصطبغ بنفس الصبغة ويدين لنفس الثقافة والقيم واللغة..؟

- كيف نتعامل مع ما يرد إلينا من مفاهيم ورموز وعلاقات وترابطات ومؤشرات وخلافه.. غربية عن السياق الثقافي لمجتمعاتنا؟

- ألا يدعونا ذلك للتأني لرصد ملامح هذا التوجه من خلال طرح المفهوم.. ودراسة علمية شاملة لكافة التطورات والتغيرات والتوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاقليمية التي أدت إلى سك هذا المفهوم. للوصول لفهم صحيح للواقع الاجتماعي الذي احتضن المفهوم والقضايا المرتبطة به والغايات التي يرنو إلى تحقيقها.. وتبيان الطبيعة التعايشية والتصادمية للتفاعل الثقافي العالمي (وحدود التعايش والتصادم).

وممكن هنا فرض مجموعة من الدراسات التي تشير إلى المفهوم وجذوره المادية، وإنه تطور مفاهيمي مرتبط بالتطور الزمني بدءاً من الحداثة حتى الآن وتطور المجتمع الغربي الرأسمالي..

ألا يحتاج الأمر إلى توظيف منهج التحليل السوسيولوجي والمنهج النقدي لتحديد العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد وبين مجتمعاتهم وبين ثقافات المجتمعات وبعضها البعض.

- ألا تعتبر ملامح طبيعة القيم الآن وما تنسم به من مادية، وانفصال القيم عن التطور المادي (التكنولوجي)، يمثل ضرورة للوعي بما يفد من مفاهيم غربية والحذر والحيطة في التفاعل معها؟

- ألا تُعد الفروق المفزعة على مستوى الاقتصاد الدولي وما نشأ عنه من أزمات (فقر مجاعات بطلاة تراجع نمو العديد من الدول ...) وما يرتبط بذلك من سياسات عالمية ؛ أمر مثير للتفكير في كل ما يأتينا من الغرب كمفهوم المواطنة العالمية.

- ألا تُعد ملامح الوضع الاجتماعي العالمي الآن وما يرتبط به من اشكاليات (مخدرات - مجاعات - حرمان - فقر - تفكك الأسرة...) يثير الريبة والشك فيما ينتجه الغرب ويسوق له على مستوى العالم. ويمكن استجلاء بعض ملامح وضع المجالات المختلفة في إطار الترويج لمفهوم المواطنة العالمية كما يلي:

اقتصادياً: تعاضد دور العولمة ودور الشركات العملاقة بشكل شرس.. وإزالة الحواجز أمام التجارة الدولية.. وسياسات السوق الحرة الصارمة ، وسيطرت الدول الصناعية على تدفقات رؤوس الأموال. **أخلاقياً:** في ظل السياق الاقتصادي وسياسات السوق الصارمة، والعوامل المختلفة من التطور العلمي والتكنولوجي.. فإن الحديث عن أخلاق المستقبل ونوع العلاقات التي يمكن أن تكون بين المجتمعات المختلفة ثقافياً والمتباينة اقتصادياً سيكون مثير للجدل.. ومدى اختلاف العلاقات والروابط الإنسانية الرحيمة عن تلك التي تقوم في ظل اقتصاد السوق والمادية الجارفة على مستوى العالم الغربي. أمر مهم يتطلب أخذه في الاعتبار. فقضية الاختلاف تفرض نفسها على مستوى مفكري العالم، حيث أن التطور التكنولوجي الذي ليس له حدود وقيود ولا يأخذ في الإعتبار البعد الأخلاقي يقود إلى العديد من المخاطر والإشكاليات، والتي تقوض من أهميته بالنسبة لمستقبل الوجود الإنساني الحقيقي.

وسياسياً: ماذا يعني التسامح والسلام بين الأطراف المختلفة ، وتقبل الآخر..، إذا لم يكن لكلا الطرفين كرامة مُصانة وهوية وخصوصية يلوذ بها ويجد نفسه الجوانية في إطارها بشكل خاص لتتسم علاقاته مع البشر بالرحمة لا بالمادية الشرسة؟ ماذا عن الديمقراطية، والشعوب وحق تقرير المصير...؟

ماذا تعني الدعوة إلى مواطنة عالمية كيوثوبيا تحمل في طياتها المثالية من سلام ووثام ومساواة.. للبشرية.. في حين أن الدول الصناعية ، والغنية تزيد من وضع الفقر والضياع للبشرية كل يوم في

إطار ما يراه من حروب من أجل النفط والطاقة والمياه وفتح الأسواق ولا تفكر إلا أن مصالحها الذاتية فقط.. في حين يمتلئ العالم جوعى ومرضى.

ماذا تعني المواطنة العالمية إذن ألا تعني وضع تشريعات واحدة ونظم واحدة، وممثلوا المواطنين عالمياً" البرلمان العالمي" لضمان الولاء والطاعة لها على مستوى دولهم ويكون أداة جديدة أو ثوب جديد لتحقيق مصالح وقرار القوانين.

الأمر ليس بسيطاً كما يبدو ظاهرياً فهناك فلسفة وابستمولوجيا وايدولوجيا كامنة خلف هذه الدعوة أو الفكرة لتكوين شخصية المواطن العالمي المستلب.

وبالرجوع إلى المفاهيم قريبة الصلة بالمواطنة العالمية مثل الثقافة العالمية، المواطن العالمي، الحضارة الإنسانية الواحدة، وحدة المعرفة ..وأخيراً المواطنة العالمية. نحن أمام وضع مثالي (يوتوبيا) أو مواطنة افتراضية لتشريع مصالح غربية فقط وتسويغها عالمياً. إذا فالفجوة ضخمة جداً بين ما يُقال وبين الواقع العالمي، والتحدي هنا أمام تلك اليوتوبيا كيف نجمع بين ما هو ثقافي وسياسي واقتصادي على مستوى واحد في بوتقة واحدة بتوجه واحد؟ هل سيقفون على نسق قيمي وأخلاقي واحد؟ هل ستعتبر الأديان مصدر لتلك القيم بمعنى هل ستكون مرجعية ؟ هل ستجس تلك الكونية في إضفاء حالة من السلام والوئام العالمي بديلاً للصراع؟ هل سيتم إرساء الحقوق لأصحابها ودعم المساواة العالمية وتنتهي العنصرية، وغيرها من صور اللاعدالة؟ هل من معايير يتفق عليها الأغلبية إذا لم يكن الجميع؟ وهل فكرة المعيارية في الحساب؟ وما موقف الأقلية في حال رفض أمر ما؟ هل من عدالة اقتصادية لمنع المجاعات والموت من الجوع..؟ وهل يقدم للجميع التعليم بمعايير تراعي الجميع أم معايير غربية فقط لتحقيق مصالحه؟ أين مكان ومكانة فكرة الإنتماء أين هي ولمن؟ وأين موقع المواطن الأصلي والوطن الذي تربى فيه...؟، وما مصير الخصوصية الثقافية؟

لقد أصبح يُنظر للإنسان ليس كمواطن داخل الدولة وإنما كمواطن للجميع ولهذا العصر الذي يعيش فيه، أو كمواطن ينتمي إلى العالم كله ، ما شكل وضعية الحقوق والواجبات التي تقتضيها هذه المواطنة بحكم أنه مواطن عالمي؟ لكن من سيعمل على تشكيل العالم طبقاً لتوجهات المشروع الغربي لن يكون التاريخ لأنه مستبعد منه ولن تكون الدولة أيضاً ، بل الأفراد، في إطار

فكرة الفردية والحرية المطلقة وسلطان العقل المطلق ..وما تدعو إليه العلمانية. وهذا أحد التحديات الذي تواجه المجتمعات العربية في القرن الحادي والعشرين.

فما مصير الدولة والتاريخ؟ وما مصير مفهوم السيادة (سيادة الدولة) والسلطات الداخلية التشريعية والقضائية والتنفيذية؟ وما مصير أفكار مثل التميز والتفرد والتنوع والاختلاف وغيرها من قيم ومعاني؟ والحكمة تكمن في قول الله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" (هود-١١٨) فهل هذه حلقة في ايديولوجيا غربية لنظامها العالمي الجديد أو الأكثر حداثة تم ارساء معالمه عبر سنوات بل قرون للوصول إلى الإنسان على مستوى العالم وطبقاً للفلسفات المادية العلمانية وما بعد الحداثة وهو تحويل المجتمع ثم العالم إلى وحدات وظيفية عالمية (على مستوى العالم) يتم تحريكه في أي اتجاه وطبقاً لمنظومة وظيفية استعمارية مادية على طريقة تحليل المسيري للمشروع الحداثي الغربي؟ فهل نجد هذه الدعوة التوباوية الشكل والمظهر والمادية المخبر بدعوى السلام العالمي والقضاء على الفقر .. وتوسيع دائرة الديمقراطية إلى غير ذلك من أوهام؟

- وأخيراً: كيف تكون مهمة التربية في بناء الإنسان في ظل المواطنة العالمية وهي تقوم ببناءه طبقاً لمتطلبات مكانه وزمانه وفي إطار ثقافة وفلسفة مجتمعه.

فيرى عبدالفتاح تركي(١٩٩٣) أن التربية هي علم الإنسان..في مجتمعه وفي إطار ثقافته وعلى امتداد ربوع وطنه ، وفي علاقته بالعالم الواسع الممتد..فهو علم بناء الإنسان في المستقبل...تعليمه وتعلمه ماضيه وحاضره ومستقبله (تركي ، ١٩٩٣ ، ٦٨ ، ٨٠).

مما سبق يمكن القول بأن رغبة الغرب في إحكام السيطرة على كل شئ حتى الإنسان فجعلته كالأشياء (تشيؤ). لذا فإن إعادة بناء الإنسان (العالمي) إذا صح وجاز أن نستخدم كلمة عالمية في سياق ما ينشره الغرب من مفاهيم ويحاول بها إحكام الهيمنة على مقدرات العالم ليتكلم بلغة واحدة ويسلك بطريقة واحدة ويستهلك وينتج بطريقة واحدة، هي الطريقة الغربية والتي مجازاً يسوغها للعالم على أنها (عالمية).

فإن من حقنا كمجتمعات لها هويتها المميزة وخصوصياتها الثقافية رغم ما تعاني من إشكاليات متعددة من حقها توجيه النقد لهذه التوجهات الغربية ، بل ورفضها ونطالب الغرب بإعادة

بناء فلسفته وإيديولوجيته حتى يتحلى الإنسان الغربي ويسلك بأخلاق عالمية (وليست فقط غربية) أو ما يسميها هو أخلاق كونية "المواطنة العالمية أو الكونية".

فهل نحن العالم؟ Are We the World كما جاء في أحد الأطروحات النقدية حول تعليم المواطنة العالمية وربطها بالذات الأمريكية في المدارس والجامعات. والتي حاول فيها الباحثان طرح بعض التصورات والأهداف الرئيسة للمواطنة العالمية التي انتشرت على مستوى واسع على مستوى الأفكار والممارسة وفي النصوص والمناهج في المدارس والجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية. حيث قدم البحث مناقشة نقدية للأفكار المتعلقة بالخطوط العريضة للمواطنة العالمية (Wong ; Hoffman, 2016, 1-22).

هنا يُمكن توضيح كيف كان عصر العقل والاستنارة الأوروبية والإيمان بالقانون الطبيعي ، يمثل الأساس الفلسفي والفكري لعلمانية شاملة ومادية والدعوة إلى تجنب الدين والاتجاه إلى القيم الغربية والتفكير الغربي وكافة الحياة على الطريقة الغربية تحت شعار الدعوة إلى العالمية ، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

يرى "المسيري": (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٤٩-٦٩ & المسيري ، ١٩٩٩ ب ، ٢٥ & المسيري ، ١٩٩٤ ، ٩-١٠):

أن فكر عصر العقل والاستنارة والإيمان بالقانون الطبيعي قد تولد بعد عصر النهضة وهو فكر يُعد الأساس الفلسفي للعلمانية الشاملة التي تنزع القداسة عن العالم (الإنسان والطبيعة) ويؤدي إلى الإيمان بفعالية القانون الطبيعي في محاولات الحياة الطبيعية والإنسانية كافة وإنكار أي غيب ، وإلا لما أمكن التحكم في الكون (الإنسان والطبيعة) وتوظيفه واستخدامه وتحويله إلى مادة استعمالية ، وقد انعكس هذا في فكرة الإنسان الطبيعي (العقلاني) أو الأممي ، وهو إنسان عقلاني إن أعمل عقله بالقدر الكافي ليتوصل إلى الحقائق نفسها التي يتوصل إليها الآخرون بغض النظر عن الزمان والمكان ومن ثم بإمكان هذا الإنسان أن يصل إلى فكرة الخالق بعقله بدون حاجة إلى وحي إلهي أو معجزات أي دون الحاجة إلى دين مرسل أي أن الإنسان الطبيعي العقلاني العالمي (الأممي) يمكنه أن يتوصل بعقله إلى الإيمان بدين طبيعي عقلاني ، ويمكن القول بأن الدين الطبيعي أو الربوبية كما كانت تُدعى هو تعبير عن معدل منخفض من العلمنة أو تعبير عن

علمانية جنينية ، فهي تستجيب لحاجة أولئك الذين فقدوا إيمانهم بالدين التقليدي ولكنهم لا يزالون غير قادرين على تقبل عالم اختفى منه الخالق تماما ، أي أنهم بشر جردوا العالم من الدين والقداسة واليقين المعرفي والأخلاقي ولكنهم احتفظوا بفكرة الخالق في صيغة باهتة لا شخصية حتى لا يصبح العالم فراغا كاملا.

ووضح "المسيري" بداية علمنة الفكر من خلال مفهومي العلم والديمقراطية ، فالعلم الغربي حقق ما حققه عندما تناسى تناسيا كاملا أي أسئلة فلسفية غائبة ، لقد أسقط السؤال لماذا؟ لم يعد الإنسان الغربي يسأل لماذا أنا هنا؟ لماذا أجري هذا البحث ؟ وإنما سؤاله الذي لا يتخطاه: كيف أجري هذا البحث؟ ما هي النتائج المطلوبة؟... لقد حصر الإنسان الغربي نفسه في الآليات بما أنه صنف العالم على أنه كالألة تماما ، وهذا هو اسهام سبينوزا الأكبر. أما داروين الذي جاء من بعده فقال إن العالم ليس آلة وإنما هو غابة تتم الأمور فيها بشكل آلي (صراع وبقاء).

كذلك يقول "ماركس": إن الحديث عن الإرادة الإنسانية أو الوعي الإنساني ما هو إلا أوهام ، وأن الوعي الإنساني ما هو إلا انعكاس للمادة. وكما أن العلم منفصل عن القيمة ، فإن قضية الديمقراطية وإجراءاتها تتفصل عن القيمة فالديمقراطية هي في واقع الأمر اتفاق على مجموعة من الإجراءات يمكن من خلالها معرفة رأي الأغلبية ، وجوهر هذه الإجراءات كمي أي حساب عدد الأصوات المؤيدة والمعارضة بزيادة صوتا واحدا أو بنقص صوتا واحدا يمرر المشروع أو لا يمرر ، والاتفاق هنا بشأن الإجراءات وحسب (قوانين اللجنة) وليس متصلا بمضمونها أو اتجاهها ، فهذه أمور تحدد العملية الديمقراطية نفسها ، دون الالتزام بأية قيم أو مرجعيات مسبقة أي أن الديمقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة ولا تنقيد بأية قيم أخلاقية مطلقة. بناء عليه يتساءل "المسيري" هل علينا أن نقبل بقرارات مثل قرارات الإبادة النازية وقبول المخدرات والإباحية ، .. باعتبار أنها تعبير عن إرادة الشعب وصوت الجماهير طالما أنها اتبعت الإجراءات الديمقراطية السليمة ، أم ينبغي علينا أن نرفض مثل هذه القرارات الديمقراطية استنادا إلى مرجعية أخلاقية متجاوزة للإجراءات الديمقراطية؟

هذا ويمكن قبول فكرة العالمية في بعض الأمور الإنسانية الفطرية فالناس (بحكم كونهم ينتمون للإنسانية) تتشابه في جزء مشترك من الأخلاق وخاصة ما يتعلق بالوجدان الإنساني العام

من العواطف والأحاسيس والأمور المرتبطة بالمعاني.. وهذا يمكن أن يفسر اللغات التي نقول عنها أنها عالمية كلغة الضحك والبكاء والموسيقى وغيرها من لغات رمزية. والمثير للسؤال هنا كيف استطاع المشروع الحضاري الغربي الحديث أن يسلب الإنسان عناصر إنسانية وجعل منه إنسانا ماديا آليا وأداتيا ، هذا الإنسان يرى دون أن يتحرك له ساكنا ودون حياة من الحق وبسببه إنسانا آخر يُقتل وتُدمر مقدراته وتُستلب ثرواته بفعل آلهة وماديته ، دون وجه حق ومن دون أن تتفعل فيه عناصره الجوانية كإنسان يدعي أنه ينشر الحضارة ويرفرف بعلم الديمقراطية والتحضر على كل أرض تطأها قدماه ، إلا إذا كان ذلك مجرد خدعة كبرى؟! فأَي حقوق سوف ترسيها وتحققها المواطنة العالمية للمواطن في بلاد الجنوب والعالم الثالث؟

فترى ماري وارنك (Mary Warnock) "إن التشابه الذهني الوجداني بين البشر من شخص لآخر هو ما يجعل من الممكن للبشر أن يتعاطفوا مع بعضهم البعض ومن الممكن أن يكون التعاطف مع الآخرين هو الذي يجعل من الأخلاق سمة من سمات الحياة البشرية المشتركة" (Warnock, 1996, 45-53).

فلماذا لم تكن تلك الأخلاق الوجدانية المشتركة طريقا ناجعا في تقارب البشر بالشكل الذي يمنع خراب ودمار العالم والإنسانية بالشكل الذي نراه اليوم؟

وقد تمثل رؤية "علي وطفة" جزء من الإجابة عن هذا السؤال فقد حدد مأزق الحضارة الغربية ومأزق التوابع.. فيقول: "أن الفكر الإنساني المعاصر يضج بمفاهيم النهائية والورائيات مثل: نهاية الحضارة ، ونهاية التاريخ

، ونهاية الإيديولوجيا ، أو ما بعد المجتمع الصناعي ، وما بعد الرأسمالية ، وما بعد العولمة ، ومن ثم ما بعد الحداثة. وهي مفاهيم تعكس وضعية الأزمات التاريخية التي تعانيها الحضارة الغربية المعاصرة التي تحاول أن تتجاوز ذاتها وحدود تطورها عبر صيرورة حضارية جديدة تخرجها من مأزقها الحضارية الخائفة. وأن تلك المفاهيم العدمية وُلدت ونشأت في حضن الحضارة الغربية المتقدمة وهي تشكل جوهر أزماتها الحضارية. وإن كانت هذه الإشكاليات توجد في أصل الحضارة الغربية المعاصرة وتعبّر عن آفاق تطورها ، فإنها تجد مع ذلك صداها الصاعق في مجتمعات الجنوب ومنها مجتمعاتنا العربية الإسلامية" (وظفة ، ٢٠٠١ ، ١٨٢).

وهنا يبرز "وطفة" مصيبتنا في التبعية المشينة للحضارة الغربية المادية ، فجعل من غزو تلك الحضارة الحداثية لنا سهلا ويسيرا ، وهذا ضاعف من مشكلاتنا ، فنحن نعيش مشكلات تخلفنا وتبعيتنا ، في نفس الوقت نعيش إشكاليات تقدم الآخر في ظل ما تفرضه الحضارة الحداثية الغربية التي نسعى إليها بلا نقد ولا وعي بسبب رغبة منا للحاق بالتقدم خارج سياق مجتمعنا ودون أن نجتهد في بناء حداثتنا نحن. ولنا أن نتخيل هنا كيف تكون التربية في مجتمعاتنا العربية وهي ليست ببعيدة عن تلك السياقات بالمجتمع. مما يستوجب الوعي بالمفاهيم التي تساق إلينا أو نستجلبها نحن من الغرب دون أن نعي السياق الذي نشأت فيه والهدف الذي سكت من أجله.

ويرى المسيري أن "العظمة يرى ثمة ترادفا كاملا بين العلمانية وما سماه زمن الحداثة ، هذا الزمن الذي يتسم بالعالمية. ولذا فهو يتحدث عن الحداثة الكونية ، التي أعادت تشكيل الواقع العالمي كله ، بحيث أصبح هو نفسه الواقع.. والأسلم هو الاستكانة للواقع ومجاراته ، بدلا من التعبئة ضده.. فصيورة التاريخ رغم لانهايتها تؤدي في نهاية الأمر وفي التحليل الأخير إلى زمن الحداثة الذي يتسم بسمة العالمية ، وإن كان ذا منشأ أوروبي لكنه أدى إلى تحولات في أرجاء المعمورة وأدى إلى ظهور التاريخ العالمي الذي أضحى متكاملا على الصعيد العالمي أكثر من قرنين. إن العلمانية تتبدى في تاريخ الإنسانية بأسره". ولكن المسيري ينقد هذا الأمر ويرى أن تلك الرؤية التي تدعي الموضوعية والحيثية عادة ما تسقط في رؤية التاريخ باعتباره مساراً خطياً واحداً، فمهما تعددت السبل فالنهاية واحدة (كرؤية نهاية التاريخ) فيه رؤية أحادية حيث يرد مسار التاريخ إلى عنصر واضح واحد وحاسم وحتمي وعلينا قبوله والازعان له ، وطبقا للعظمة فإن زمن الحداثة بسبب حتميته وعالميته أدى إلى انقطاع المسار التاريخي للعرب وما علينا في هذه الحالة إلا القبول بهذا الأمر الواقع الحتمي ، وأي انحراف عن هذا الصراط العالمي الحداثي العلماني المستقيم هو في واقع الأمر خيار يعاكس الواقع ، واقع انقطاعنا عن ماضينا البعيد. تكشف كتابات عزيز العظمة أن العلمانية هي "العالمية" أو "الزمانية العالمية" وأن مسيرة التاريخ الكوني آيلة إلى العلمانية .. (المسيري ، ٢٠٠٢ ، ج ٢ ، ٩٥). وطبقا لتحليل المسيري يمكن القول بأن العظمة يرى في العلمانية هي نهاية التاريخ بصورة ما وأنه يسلم في تقاعله مع ما يثير من نقاشات إلى العلمانية وكأنها قدر محتوم.

- ما سبق يمثل وصف موجز للحضارة الغربية المادية والتي يوضح من خلالها شراسة المادية التي أضفت بظلالها على العالم كله وعلى كافة الأصعدة وسبغت بقيمها العديد من سمات الشعوب وطغت بآلياتها على وضع العدالة والمساواة المزعومتين وخلخلت الانتماء والوطنية في العديد من أرجاء الأرض وأجهزت على المعايير الروحانية والخلقية ، فماذا يُمكن أن تضيفه المواطنة العالمية في هذا السياق؟؟
- واستخدم المشروع الغربي المادي مجموعة من المفاهيم والأفكار لتحقيق أهدافه ، ومنها أيضا فكرة الترشيد المادي التي يتحول الإنسان من خلالها إلى مجرد شيء "التشيؤ" ومن ثم تغييب معها المعايير الأخلاقية والروحية.

ثانيا: الجذور الفكرية المرجعية لمفهوم المواطنة العالمية:

يُعد البحث عن جذور مفهوم المواطنة العالمية أمر هام حيث يبرز دور المقولات الايديولوجية الغربية في دعم وتعزيز المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية الغربية. ويتكون الوعي الذي يقود إلى ضرورة نقد مثل هذه المفاهيم لتكوين فهم وتفسير لما يجري في الواقع المحلي والعلاقات الدولية.

والمتتبع للفكر العربي في سياق المواطنة وما يرتبط بها من مفاهيم يجد أن مفهوم المواطنة العالمية ليس له وجود على حد علم الباحثة. لكن من الممكن الكشف عن علاقة هذا المفهوم بالمنظومة اللغوية في المشروع الحضاري الحداثي الغربي المادي وعملية علمنة الفكر في سياق هذا المشروع. فالمتتبع لجذور نشأة وتطور المفاهيم المرتبطة بالمشروع الغربي منذ فترة التنوير حتى الآن مروراً بالحدثة والعولمة وما بعد الحداثة "العلمانية" والمسميات المختلفة المطروحة لكل فترة طبقاً لمجال الحديث فيها..يجد أن لمفهوم المواطنة العالمية جذورا في هذا الفكر الغربي في تلك الفترات السابقة محاولا الوصول إلى درجة كبيرة من التحكم والسيطرة من خلال اخضاع كل شيء للكيم والقياس بالعلم والتطور التكنولوجي ، ليس على المجتمع الغربي فحسب بل العالم أجمع. ومن هنا جاءت فكرة التعميم للنموذج الغربي ليكون النموذج النهائي "الرأسمالية الليبرالية المادية" الذي يحكم العالم. فظهرت فكرة أو مفهوم الثقافة العالمية والقيم العالمية والمواطن العالمي والحضارة الإنسانية

الواحدة .. وغيرها من مفاهيم مساندة ومتماهية مع نفس الاتجاه "الغربي تحت مظلة عالمية" ..حتى وصلنا لهذا المفهوم "المواطنة العالمية".

ويمكن استجلاء بعضها من خلال الكشف عن تحيزات هذا المشروع وغاياته ليجد الباحث عن مفهوم المواطنة العالمية ما هو إلا تطور طبيعي لعدة مفاهيم تسيد في نفس الاتجاه وهذه المفاهيم متجذرة في الفكر الغربي ومشروعه المادي ونموذجه المعرفي للحد الذي يمكن اعتبار هذا المفهوم دعوة "المواطنة الغربية" أي المواطنة على الطريقة الغربية وبشروط غربية وليست عالمية بما يحمل كل مفهوم من الماصدقات التي تعبر فعليا عن القيم واللغة الغربية.. ويمكن تبين ذلك من خلال استجلاء الفرق بين ما هو غربي "عولمي" وما هو عالمي.

ويبدو أن الغرب يرادف حينما يريد بين المفهومين - العولمة والعالمية- يستخدم أحدهما بديل الآخر وقت اللزوم على حسب مستوى وعي الآخر وما يحقق مصالحه وهو ما يمكن تسميته اللعب باللغة "بالمفاهيم".

فمفهوم الديمقراطية مثلا كما يرى "السيد يسين": كان يحمل في السياق الغربي ملامح معينة في حرية التعبير وحرية التفكير وحرية التنظيم والانتخابات الحرة النزهاء ، وقبل ذلك كله تداول السلطة...وتحولت في عصر العولمة وهو أخطر التطورات التي أمت بها ليصبح توافر مقوماتها الأساسية معيارا للحكم على شرعية النظم السياسية المعاصرة كنموذج عالمي(يسين ، ٢٠٠٤ ، ٢٤٦). وبالتالي باسم الديمقراطية هدم الغرب وخرب العديد من الدول وقضى على مقدرات العديد من شعوب العالم ومنها بعض الدول العربية.

وفي إطار إحدى الندوات التي أقامتها مجلة قضايا فكرية عقب "محمود أمين العالم" على كلمات المتحدثين ومنها رؤية كل من "عبدالوهاب المسيري" و "محمد إبراهيم مبروك" للعولمة والتي يمكن من خلالهما استجلاء جذور العديد من المفاهيم الغربية التي تستوجب الوعي والحذر كمفهوم المواطنة العالمية كما يلي:

فهو يرى أن العولمة وهي حضارة الغرب بشقيه الاشتراكي والرأسمالي كامنة في منظومة الاستتارة والفكر المادي والعلمانية ، وهي مصطلحات مرادفة للحادثة...كما يرى أن الحضارة الغربية التي كانت تتطلع لإنشاء حضارة ضخمة تسود العالم أخذت تتراجع مع انهيار الاشتراكية وتآزم

الرأسمالية وتتجه اليوم إلى الإغواء بدلا من المواجهة وذلك بأن تخبر الناس أننا سواسية وأن هناك نظاما عالميا جديدا وأن هناك عدلا وحقوقا للإنسان وأن العالم أصبح قرية واحدة. ويقول "المسيري" أن هذه أكاذيب وأن العولمة التي نعرفها تتمثل في الهامبورجر والكوكاكولا والماكدونالد. في نفس الاتجاه يرى محمد ابراهيم مبروك أن العولمة هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي وتعاظم آليات فرضه سياسيا واقتصاديا واعلاميا وعسكريا. ويرى أن العولمة تكتسب عالميتها من مدى اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على شعوب العالم وليس على أساس كونها واقعا فعليا يحيط بالشعوب والبلدان. فهي مجرد صراع على المصالح الاقتصادية يمثل تغييرا لوعي الشعوب الإسلامية على وجه الخصوص (المسيري ومبروك في: تعقيب العالم ، ١٩٩٩ ، ٢١). في حين يلتقي "محمد عمارة" مع الكثير من المفكرين الإسلاميين في التفرقة بين العالمية والعولمة ، فيرى أن العالمية هي التي تمثل الأفق الإسلامي ، لأن الإسلام دعوة عالمية منذ المرحلة المكية وبالتالي فإن العالمية ليست غربية عن الرؤية الإسلامية. بل أن الرؤية الإسلامية نزاعة إلى العالمية انطلاقا من أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية. والعالمية تمثل كما يرى حضارات متعددة متميزة أي ليست متماثلة أو منغلقة معزولة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه. أما ما يفرض الآن باسم العولمة فليس عالميا إنما هو الرؤية الغربية ، والنظام الغربي ...حيث يوجد في بنية الفكر الغربي والحضارة الغربية هذه النزعة للهيمنة (عمارة في: تعقيب العالم ، ١٩٩٩ ، ٢٣). بناء على ما سبق يتضح إشكالية مفهوم المواطنة العالمية وأنه من المفاهيم الملتبسة التي تحتاج إلى استجلاء أبعاده المختلفة حتى يُمكن تحديد الرؤية تجاهه.

ويقول المسيري (المسيري ، ٢٠٠٢ ، ٢٢-٢٤):

"الإنسان في المجتمع التقليدي (الشخصية التقليدية) يعيش شبكة من علاقات القرابة المتعينة ويدين بالولاء لأعضاء جماعته ، وهو يتحرك في نطاق إيمانه بمرجعية متجاوزة ومطلقات دينية وأخلاقية ثابتة. لكن الدولة العلمانية المطلقة (الاقتصاد العلماني الرشيد) تحتاج إلى إنسان واحد (إنسان ذي البعد الواحد) ، إنسان له مواصفات مختلفة تماماً. فالمطلوب فرد براني مستوعب تماماً في المرجعية المادية ، سواء كانت هذه المرجعية هي الطبيعة / المادة أم مصلحة الدولة ، على استعداد لأن تذوب فرديته وإنسانيته المتعينة المحددة في الآليات السياسية للدولة المطلقة ،

وفي الحركات الاقتصادية العامة للسوق الرشيدة التي تدور مثل الساعة الدقيقة! فيتلقي الأوامر وينفذها بكفاءة عالية دون أية تساؤلات. أي أن المطلب إنسان تم ترشيده واستناسه وتنميته في إطار المرجعية الواحدة المادية حتى يمكن توظيفه على أكمل وجه.. إنسان يرى نفسه جزء من المادة ، ذاته طبيعية مادية يسري عليها ما يسري على الأشياء من قوانين وفي إطار تحقيق ذلك تصطدم الدولة المركزية المطلقة (مرجعية ذاتها) بالجماعات والمؤسسات الوسيطة مثل الأسرة والكنيسة والجيوب الإثنية والدينية واللغوية المختلفة ، حيث أن تلك المؤسسات تخلق مسافة بين الدولة المطلقة والمادة البشرية التي تعيش داخل حدودها ، وهي تقتسم معها ولاء الفرد الذي يجب أن يتجه إلى الدولة المطلقة وحدها، كما تمنح الفرد منظومات قيمية وخصوصية إنسانية ورموزاً إثنية ترعز ولاء للذات القومية. ..ويمكن القول بأن إشاعة الفردية جزء من عملية الترشيح هذه.. ويصبح الفرد بدون وساطة أو مؤسسات أو قيم مركبة أو متجاوزة ، مجرد ذرة تتوهم أنها مرجعية ذاتها (هوية مكتفية بذاتها) ، بينما هو في واقع الأمر ، مادة إنتاجية استهلاكية... وبعد تهميش الدين ، وبعد القضاء على الجماعات والمؤسسات الوسيطة ، وبعد تقسيم الوظائف بهذا الشكل المجرد ، يظهر ما يسمى رقعة الحياة العامة أو المدنية التي تشكل ٩٠% من حياة الفرد يتصرف فيها الفرد لا كإنسان متعين ذي أبعاد مركبة عديدة ، وإنما كمواطن أو مهني ذي بُعد واحد. ويتم ترشيح بقعة الحياة هذه تماماً وتنميته ، وتستبعد منها كل الخصوصيات والمطلقات والمرجعية المتجاوزة .. وبإمكان هذا المواطن أو المهني أن يمارس عقيدته وإثنيته وخصوصيته في منزله أو في فراشه أو في المتنزهات العامة في عطلة نهاية الأسبوع!

ففي التفرقة بين العقل والقلب في أمور كثيرة يتعرض لبعض جوانب النقد فطبقاً لرؤية "باولوفيري" مثلاً: "بالنسبة للمجتمع العالمي الذي تتباعد فيه المسافات ، ويكثر فيه الأفراد ، لم يعد التضامن شأنًا من شؤون القلب والمشاعر ، يتولد إزاء شخص نعرفه ، لقد تحول إلى شأن من شؤون العقل والمنطق الذي يقنع بالتفكير العقلاني. إن ما يعولم يفرق ، كما أن الطريق إلى الحل لابد أن يخترق أعماق وتفاصيل إعادة بناء النسيج الاجتماعي.. (باولوفيري ، ٢٠٠٧ ، ٤٥).

- بناءً على ما سبق يمكن القول بأن المنظومة اللغوية المفاهيمية للمشروع الغربي شكلت محورا أساسيا لنقد هذا المشروع حيث انطلق منه نقد "عبدالوهاب المسيري" لهذا المشروع ، كما

استدعت المنظومة اللغوية النقيض التي شكلت محور فكر "المسيري" ودعوته للوعي النقدي ، وتقديم المشروع البديل "الإنساني". لنرى كيف تحولت تلك المفاهيم إلى مصادقات في الواقع وشكلت عبئاً على الإنسانية(*) .

يقول "المسيري": أن المعنى الحقيقي للمصطلحات والنصوص (مثل العقل ، والقيم الأخلاقية ، ووحدة العلوم ، والاغتراب ، ..) لا يتضح إلا من خلال تحديد أبعادها المعرفية ومرجعيتها النهائية وهل هي مرجعية مادية محضة أم أنها مزيج من المرجعية المادية ومرجعيات أخرى؟ حيث يذهب التفكير المادي إلى تأكيد أسبقية الطبيعة على الإنسان فهو خاضع لقوانينها وحتمياتها ، فهو جزء لا يتجزأ منها ولا يمكنه تجاوزها هذا يعني أن الحيز الإنساني الذي يفترض أن الإنسان كان مستقل عن الطبيعة له قوانينه الإنسانية الخاصة به يخفي ولا يبقى سوى الحيز المادي ، وبدلاً من ثنائية الإنساني والطبيعي تظهر الواحدة الطبيعية / المادية (المسيري ، ٢٠١٨ ، ٢٥ ، ٢٦). وطبقاً لهذه الواحدة يتوجه المشروع الغربي في منظومته المفاهيمية ليسير في فلكها كل العالم.

إذا تناولنا جذور هذا المفهوم من الجانب الثقافي والديني نجد أن مؤتمر صراع الحضارات أم حوار الثقافات الذي أُقيم بمناسبة القاهرة عاصمة ثقافية للعام ١٩٩٦م.. يقدم لبعض الأدلة على الجذور الغربية لنشأة هذا المفهوم وتطوره ، ويمكن استجلاء ذلك من خلال الفقرات الموجزة التالية من أعمال هذا المؤتمر:

"إن نزعة الجوهريّة الثقافية عند هنتجتون تستشهد بالتاريخ عندما يكون ذلك ملائماً لها، ولكنها تتخطاه أيضاً إذا تتجاهل الفوارق والتناقضات الثقافية عندما يعترض طريق مشروعه على سبيل المثال، فإن أفضع عمليات إبادة الجنس في العصر الحديث أثناء الحرب العالمية الثانية ارتكبتها من كانوا ضمن تجمع حضاري واحد اليهود على يد النازيين الألمان، والصينيين على يد العسكريين اليابانيين زملائهم في العقيدة الكونفوشسية (جوموك، إسلام، ١٩٩٧ ، ٣).

(*) في: زايد ، أميرة عبدالسلام (٢٠٢١). تحرير العقل.. المسيري وفلسفة إنسانية بديل العلمانية. الأسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.

فعلى المستوى الديني والثقافي أيضاً تأتي فكرة الواحدية والعالمية في إطار الدين، في إطار ما نسمع عنه منذ فترات عن الديانة الإبراهيمية.

فيرى كل من جوموك، و إسلام (١٩٩٧): أن هنتجتون يتجاهل التركيب الإيديولوجي السياسي للحضارات الظاهرة، فعلى سبيل المثال نجد أن فكرة الحضارة الغربية مبنية على تراث يهودي - مسيحي مشترك إنما هي توليفة أمريكية حديثة نسبياً بعد الحرب منذ الستينات وليس هناك من سبب مثلاً لتكون فكرة الحضارة الإبراهيمية نسبة إلى (سيدنا إبراهيم عليه السلام) التي تضم التوحيدية اليهودية والمسيحية والإسلامية أكثر صواباً من الناحية الحضارية والروحية والفلسفية، اللهم إلا أن هذه الفكرة تستبعد بالطبع بعبع هنتجتون ألا وهو الإسلام (جوموك وإسلام، ١٩٩٧، ٣).

ويقول قاسم أحمد (١٩٩٧): "ربما يُعترض بأننا نشهد لأوروبا الحديثة بأنها تحمل قدماً مهمة الحضارة وذلك لأن أوروبا ليست نعم الله طاهرة الذيل إلى العالم، لقد أوقعت على الجنس البشري حربين عالميتين أو ربما ما تزال توشك أن تشارك في واحدة أشد بشاعة، إن هذا الاعتراض صحيح لكن النظر إلى أوروبا باعتبارها مجرد بلية، ليس صحيحاً أيضاً، إذ رغم تخريبها فإن أوروبا الحديثة قد قدمت العديد من المنافع للجنس البشري، ليس فقط علمها وتقنياتها ولكن أيضاً أدبها، فنّها، موسيقاها وفلسفتها الإنسانية، هذا لأن لأوروبا الحديثة مثلها مثل كل الحضارات وجهان، وجه حُكم الأقلية والوجه الإنساني، إن أبرع ما قدمته أوروبا قد أنتجته صفوتها الإنسانية، بينما سببت صفوة الأقلية الحاكمة الدمار إننا نرى القوتين في وقتنا الراهن في نزال قاتل (أحمد، ١٩٩٧، ٤).

"إن الحضارة الأوروبية الحديثة تشتمل مثلها مثل باقي الحضارات على تيارين متنازعين تيار الأقلية الحاكمة والتيار الجمهوري، إن هذين التيارين تشكلا وتطورا متداخلين، ناضلا وتدافعا قدما في سلسلة من موجات ثقافية فلسفية عُرِفَت بعصر النهضة (القرن ١٤ إلى القرن ١٦)، والإصلاح، والأصلاح المضاد (القرن ١٦- القرن ١٧)، الثورة الصناعية، والثورات السياسية، والثورات العلمية، والثورة الأمريكية عام ١٧٧٥م-١٧٨٣م بنظامها الأمريكي للاقتصاد السياسي والتي يمكن أن تكون نموذجاً للموجة الجمهورية الإنسانية ويمكن اعتبار تأسيس الإمبراطوية البريطانية في القرن التاسع عشر بنظامها الذي يدعى التجارة الحرة والاقتصاد السياسي الليبرالي نموذجاً لموجة الأقلية الحاكمة أنهما هاتان الموجتان اللتان نراهما الآن ملتحميتين في صراع الحياة، وموت من أجل نيل ولاء

المجتمع البشري (في القرن الحادي والعشرين) من أجل السيطرة على ثروات العالم واقتصاده وسياسته (أحمد، ١٩٩٧، ٧-٨). وقد تساءلت "تورينا هيرتس" (٢٠٠٧) في نفس السياق ومن الناحية الاقتصادية سؤال يحمل شكوكا فيما تؤديه المنظمات الدولية تجاه العالم وكيف أثرت الرأسمالية الشرسة وشركاتها الضخمة المتعددة الجنسيات على توجهاتها ، وكيف فقدت تلك المنظمات المصادقية والثقة بالنسبة لأهدافها التي وُجدت لتحقيقها فنتساءل: منظمة التجارة العالمية - منظمة من...؟ لقد حلت المصالح الاقتصادية المتنافسة محل الخلافات الإيديولوجية كأقوى عنصر عامل على الشقاق والاختلاف في سياسات العالم. ولكن مصالح من تلك التي يتحاربون من أجلها ، أهي مصالح الشركات أم مصالح البلدان...؟ إن كثيرا من الشركات المتعددة الجنسيات التي تعادل الآن في الحجم وفي القوة كثيرا من الدول القومية لها الآن مصلحة أكبر في النظام العالمي الجديد من كثير من الحكومات الفردية. وحين تصطدم مصالح الشركات والدول فإن الأولوية تأتي وبشكل متزايد في جانب الشركات (هيرتس ، ٢٠٠٧ ، ٩٥).

وقد رأي قاسم أحمد : "علينا أن نتخذ المزيد من الحيطة لتجنب الأخطاء المأساوية للأوروبيين، لقد ظنوا أنهم شعباً وحضارة منفردة.. نجد عزيمتهم الأوروبية التي عرفناها جيداً وعانينا منها الكثير.. ومن ثم افترضوا أن يأخذوا على عاتقهم نقل الحضارة إلى غير الأوروبيين كان هذا هو مبرر استعمارهم، ومع ذلك فإن الكولونيالية وحدها لا يمكنها تفسير التخلف والركود خلال الخمسمائة عام الأخيرة التي حكمت فيها الكولونيالية، ونحن أيضاً قد نكسنا وتخلينا عن دورنا النشط والخلق (أحمد، ١٩٩٧، ٨).

تُعد نهاية القرن العشرين مرحلة التباس فكري وخاصة بعد تفتت الشيوعية والذي أُعتبر انتصاراً للرأسمالية الليبرالية، وجعل المفكر الأمريكي من أصل ياباني "فرنسيس فوكوياما" يتحدث عن نهاية التاريخ ويقدم أيضاً "صموئيل هنتجتون" طرحه عن صراع الحضارات، إلى غير ذلك من أفكار تخدم الرأسمالية الليبرالية. فأصبحت رأسمالية حرية العمل وحرية التجارة الليبرالية الجديدة التي دعا إليها "ريجان" وتاتشر هي الإيديولوجيا المهيمنة في العالم ، بل إن اليسار التقليدي يتبنى الآن كثير من قواعدها الأساسية - إجماع إيديولوجي (هيرتس ، ٢٠٠٧ ، ٣٧).

" ففي أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات راح يتبلور النظام العالمي كما يرى "الطيب تيزيني" في اتجاهين كبيرين (تيزيني ، ١٩٩٧ ، ٢-٣) هما:

الأول تمثل في الاعتقاد بأن التاريخ وجد نهايته في النظام الرأسمالي الأمريكي على نحو مخصص، وهذا الاتجاه يحمل وشماً أمريكياً تسويقياً يعمل "فرانسيس فوكوياما" على التنظير له والدفاع عنه، وهذا الاتجاه إذ يتحدث عن "نهاية للتاريخ" فإنه يفهم ذلك من موقع أن النظام الرأسمالي المذكور يجسد هذه النهاية، ولكن دون القول بأن هذه النهاية غير خاضعة للتغيير، وبمقتضى ذلك، لا تمثل سوى عملية تجريده وإعادة بنائه من الداخل.. ويترتب على ذلك أن العالم العربي بمثابة جزءاً من العالم الثالث لن يجد نفسه إلا أمام ضرورة الإندراج في ذلك النظام الرأسمالي الليبرالي، إذا ما أراد أن يدخل في دائرة التقدم، ومن ثم في القرن الحادي والعشرين.. إما أن يندمج العالم العربي اندماجاً وظيفياً في ذلك النظام الرأسمالي وجيبه الصهيوني فيحقق شرط استمراره ونمائه، وإما أن يخرج عنه فيغدو عاجزاً مهمشاً مفتتاً وغير ذي مستقبل استراتيجي.

أما الاتجاه الثاني الذي يطرح نفسه في إطار التحول العميق الذي لحق بالعالم الراهن يقوم على النظر إلى التحول بوصفه حالة انتقالية مفتوحة ومركبة، وتظهر تجلياته في نهاية الإيديولوجيات والصراع الإيديولوجي وفي بروز نمط جديد من الصراع هو بين الثقافات أو الحضارات لدى شعوب العالم بصورة خاصة، كما يظهر في تصدع المؤسسات الدولية وانهايار التماسك الاجتماعي وانحلال الهويات الوطنية والقومية وانخراط الناس في نشاط اقتصادي استهلاكي متحلل (متحرر) من كل التوجهات والضوابط الجمعية، وتعاضم الدعوة إلى "ما بعد الحداثة" حيث يُفكك كل شئ أنجزته البشرية على صعيد العلم والثقافة والقيم دون ناظم أولاً ودون طرح بدائل استراتيجية ثانياً.

هذا والمستقرى لتاريخ العديد من المفاهيم والمقولات المرتبطة بالكونية والعالمية والعولمة والنهايات والماورائيات وغيرها يجدها عناوين لدراسات ومقولات أوروبية. ثم تنتقل بفعل التبعية الفكرية إلى المجتمعات الأخرى لتتولى النشر والترسيخ لتلك المفاهيم لتتحول بالتدرج إلى أفعال ومصادقات.

فيقول مسعود ضاهر: "التاريخ الكوني أو الشمولي الذي تحول الآن إلى حقيقة ملموسة كان مجرد عنوان لأبحاث المؤرخين وعلماء السياسة، والقادة العسكريين، والباحثين في حقول الحضارات الإنسانية ذات التأثير الشمولي، وسرعان ما تكاثرت الدراسات التي تحمل في عناوينها تاريخ العالم، أو قصة الحضارات، أو المعارك الكبرى في التاريخ وغيرها، وكان الأوروبيين أول من أطلق هذه العناوين لأن المركزية الأوروبية لعبت الدور الأساسي والمحدد لمسيرة التاريخ الكوني أو الشمولي منذ بدايات النهضة الصناعية الكبرى في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر، يتضح من ذلك أن مقولة التاريخ الكوني أو الشمولي في القرنين الماضيين قد انطلقت من الأدبيات التي رعتها المركزية الأوروبية في مرحلة صعودها، واعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية جزءاً لا يتجزأ من مسيرة التاريخ الكوني لأنها الوريث الطبيعي والبديل الشرعي للمركزية الأوروبية بالدرجة الأولى (ضاهر، ١٩٩٧، ٣-٢)

ويرد ضاهر قائلاً: "أن هناك صعوبة كبرى في التمييز ما بين المقولات الثقافية في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، لأن جذور تلك المقولات واحدة، كما أن الإنسان الأمريكي أو الكندي هو أوروبي الجذور في كثير من جوانب حياته، لذلك يدمج الباحثون ما بين الأوروبيين والأمريكيين في المجال الثقافي أو الحضاري عندما يدرجونهم في إطار الحضارة الغربية أو حضارة الغرب..

ومن المقولات الثقافية للغرب ما يلي: (ضاهر، ١٩٩٧، ٤٢):

"دور فرنسا في تحضير العالم" حيث كانت مقولة لفرنسا بعد الثورة الفرنسية.. وفي الوقت نفسه رفع الإنجليز شعار "عبء الرجل الأبيض أي عبء الرجل الإنجليزي أولاً، في تطوير العالم القديم أو المتخلف (وهذا طبعا فتح باب الإستعمار والتنافس العسكري والسياسي والثقافي بين فرنسا وإنجلترا).. أما الأمريكيين فقد أطلقوا نظرية الرئيس ويلسون حول "حق الشعوب في تقرير مصيرها" وذلك في الحرب العالمية الأولى أي قبل عصر العولمة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية... وظهرت دراسات تحمل عناوين: "يا أمريكا خلصي العالم".

ويمكن العودة إلى بعض التقارير والمؤتمرات لتتبع جذور فكرة العالمية (بغض النظر عن طرحها المثالي الذي يجافي الواقع فيما قصدت وهدفت إليه)

يقدم تقرير لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات التي اجتمعت في مقر اليونسكو في نوفمبر ١٩٤٩م، أهداف الحوار بين الحضارات ودور اليونسكو في هذا الحوار، ويقرر التقرير أن "مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين الحضارات ومن هذه العلاقات يجب أن يظهر مجتمع (عالمي) جديد على أساس التفاهم والإحترام المتبادل ، ويجب أن يتبنى هذا المجتمع نزعة إنسانية جديدة بحيث تتحقق فيه (العالمية) من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة، ومنذ البداية كان هناك وعي بإشكالية العلاقة بين الثقافة والواقع الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي، وخاصة العلاقة بين التكنولوجيا والقيم التقليدية في دول العالم الثالث، ويمكن الإشارة أيضًا إلى ثلاثة اجتماعات دولية هامة والتي استفادت من الدعم المالي لليونسكو: الاجتماع الفكري في ساو باولو في أغسطس ١٩٥٤م، والاجتماع الدولي في جنيف عام ١٩٥٤م، والذي كان موضوعه الرئيسي (العالم الجديد وأوروبا)، والاجتماع الدولي في جنيف عام ١٩٥٧م، والذي عالج موضوع (أوروبا والعالم اليوم).

بالإضافة إلى هذه المؤتمرات الثلاثة الهامة، هناك المشروع الرئيسي لليونسكو عن الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب الذي استمر من عام ١٩٥٧م إلى عام ١٩٦٦م، وغطى المشروع موضوعات متعددة مثل تعريف القيم في الشرق والغرب ودور العوامل الدينية في الحياة الثقافية والقيم الأساسية في الحضارات الكبرى في الشرق والغرب وأهمية هذه القيم للحياة الشخصية، وموقعها في الأدب والفن، والتحول الاجتماعي في الشرق وأثره على الحياة الثقافية وإسهامات الجامعات في مجال التفاهم المتبادل بين الشرق والغرب، والمشاكل ما بين الحضارات والتي تتعلق بتنمية دول العالم الثالث بعد حصولها على استقلالها.. وغيرها (يسين ١٩٩٧، ٢-٣).

ويرتكز عمل اليونسكو في مجال المواطنة العالمية الآن على دستورها الخاص للعام ١٩٤٥، والهدف منه كما هو معلن تحقيق السلام والتعليم من أجل التفاهم الدولي والتعاون...والذي انعكس في العديد من التوصيات في مجالات متعددة في خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ ، وفي البرنامج العالمي للتربية وحقوق الإنسان ٢٠٠٥ وتوصياته ٢٠١٥ الذي جاء بشأن تعليم الكبار..وكانت المواطنة العالمية أحد أهم التوصيات الثلاثة العالمية للأمم المتحدة في مبادرة التعليم أولاً (GEFI) على المستوى الدولي في تقرير ديلور..(UNESCO,2019). هذا وأصبح مفهومي

(عالمية القيم) أو (الثقافة العالمية) موضوعاً مركزياً في اجتماعين تناولوا الأبعاد الثقافية لحقوق الإنسان: المائدة المستديرة حول حقوق الإنسان (اكسفورد سنة ١٩٥٦م)، واجتماع عن الحقوق الثقافية باعتبارها من حقوق الإنسان في باريس، (يونسكو سنة ١٩٨٦م).. وكل ما سبق من مؤتمرات واجتماعات كانت في سياق نظام دولي ثنائي القطبية.. وبعد التغييرات الجذرية التي شهدتها العام بعد ١٩٨٩م وسقوط الإتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة وسقوط النظم السلطوية في أوروبا الشرقية تغير فهم الحوار بين الحضارات وشروط وأساليب تنفيذه، وهنا نقدم العرض التاريخي التحليلي للحوار بين الحضارات تحت رعاية اليونسكو (١٩٤٩م-١٩٨٩م) الذي قدمه (دولاندو راير) في أكتوبر سنة ١٩٩٠م، لمؤتمر (أوروبا-العالم) والذي أنهى عرضه بإثارة أسئلة أساسية متعلقة بشروط وتنفيذ الحوار وفيها (يسين، ١٩٩٧، ٩):

هل الحوار المتكافئ والمتبادل بين الحضارة الأوروبية العلمية والتكنولوجية والحضارات التقليدية للعالم الثالث ممكن؟ هل تغير القيم العلمية والتكنولوجية عن حضارة (عالمية) Universal culture أم أنها تعكس تقنياً لحضارة واحدة "غربية" Cultural standardization ؟ إلى أي مدى تعتبر القيم المتضمنة في البيان العالمي لحقوق الإنسان جزءاً من حضارة عالمية؟ ما الخطوات الملموسة أو الواقعية التي يجب اتخاذها لضمان التكامل المتبادل الأفضل للقيم الحضارية الأخرى؟ ويرى السيد يسين: أنه في العالم المتغير الذي نعيش فيه هناك ثلاث عمليات رئيسية ستحدد شروط وممارسة وحصاد الحوار بين الحضارات في القرن الحادي والعشرين وهي: الكونية والتعددية والقومية.. والسؤال المطروح ما هو تأثير الكونية على القومية؟ وتعتمد الإجابة على طبيعة الكونية، وفق أي شروط ستحدث، وهل هي عملية ديموقراطية أم ستقوم على واقع الهيمنة؟

تلك الأسئلة التي تعبر عن مضمون شك والتباس المؤتمرات وتبرز المثاليات وتعبر عن يوتوبيا التي لا تتوفر ظروف وأساليب تحقيقها في الواقع وهو ما يحاول البحث الحالي الوصول إلى الوعي النقدي به في إطار طرح المفاهيم الغربية من آن لآخر مثل المواطنة العالمية.

ويرى "بسكاي" أنه من البديهي أن الرأسمالية، بعد خمسة قرون من التاريخ قد دخلت في مرحلة جديدة هذه المرحلة يصفها الأنجلو ساسكون بالكوكبية Globalization والفرنسيون بالعولمة Mundialization وإن تكن الرأسمالية نظاماً ذا نزوع (عالمي)، فهذا أمر ليس بالجديد ولكن علينا

أن نرى عن قرب ما الجديد في هذه المرحلة الجديدة، لقد عرفت الرأسمالية فترة إمتداد تبعتها الحرب العالمية الثانية وهي ما يُطلق عليها (الثلاثون المجيدة) ، ولكن هذه الأمجاد لم تكن مقطوعة الصلة بنهب الثروة الإيكولوجية للعالم الثالث (بسكاي، ١٩٩٧، ٢).

- من البديهي أيضاً كما يرى (بسكاي) أن مثل هذا الهجوم العاتي على دول العالم الثالث لم يكن ممكناً إلا لأن الأرض كانت ممهدة ايديولوجيا، فهناك ايديولوجيا رجعية مسماه بالليبرالية الجديدة قد تم اعلانها منذ زمن طويل من أجل إنقاذ وحماية الملكية الخاصة المقدسة والنظام الذي تكلفها "الرأسمالية كان الدواء الذي أُشيد به خلال ثلاثين عاماً أما تدخل الدولة فقد اعتبر مؤخراً أصل الشرور وبدأت الشكوى من الدولة التي تتدخل في كل شئ وتمنع الأداء المقدس للسوق وكان الشعار إذن "قليل من الدولة كثير من السوق" ولنعرف كيف تم الوصول إلى هذه النقطة فإن تعبيرات مثل تحرير، إلغاء قيود، التخلي عن القواعد، والخصخصة توضح في أي طريق تسير المصالح.. والبلاد الغنية وقادتها يقولون: افعلوا ما نقول ولا تفعلوا ما نفعل" ومع هذا التوجه تخلت البلاد المتخلفة بما فيها البلاد شبه الصناعية عن كل محاولة واعية للتصنيع والتنمية.. ولم يعد هناك حديثاً سوى عن "الانفتاح على السوق العالمي".. وكانت الفترة التي أعقبت عام ١٩٨٠م بالنسبة لشعوب وبلاد العالم الثالث فترة نهب زائد عن الحد (بسكاي، ١٩٩٧، ٤).

وترى "تورينا هيرتس" فيما يتعلق بسيطرة النزعة الربحية على المجتمع مما يفقد المؤسسة الاجتماعية سماتها الأساسية لصالح الشركات المتعددة الجنسية مقابل الربح فتقول:

تظل الحقيقة هي أن مجتمع التجارة والأعمال لن يضع أبدا مصلحة الزبون والتجارة الأخلاقية والاستثمار الاجتماعي فوق كسب المال حين يتعارض الاثنان. إن جميع الخيارات السياسية وجميع أفعال المشروعات التجارية ستصاغ لتلبية للمصالح الأولى لقيمة صاحب الأسهم وتوقعات الربح ، وليس من أجل العدالة أو المساواة أو الأخلاق. إن المسألة مسألة تجارة وليست مسألة أخلاق. والشركات ليست حارسات المجتمع إنها كيانات تجارية تعمل من أجل الربح ، وهي مزدوجة أخلاقيا. في حين يُفترض في الحكومات أنها مؤسسات اجتماعية التجاوب فيها مع المواطنين أساسيا أو على الأقل يجب أن يكون كذلك.. وإلا فالإصلاحات الاجتماعية تعتمد

اعتمادا لا رجعة فيه على تحقيق الربح (هيرتس ، ٢٠٠٧ ، ٢٢١ - ٢٢٢). فما هو تجاري ربحي مقابل ما هو اجتماعي وصل حد الطغيان.. في العلاقات الدولية.

ويكفي الإستشهاد بأحد الاقتصاديين في البنك الدولي "لرونس سومر" الذي كان ينصح رجال الأعمال الغربيين بنقل المصانع الملوثة إلى البلاد المتخلفة وكان سلوكه معبراً تماماً عن الرجل الأبيض المتحضر! والذي يتحدد في القول بأن تكلفة الحياة لمواطن متوسط في البلاد المتقدمة أكبر من قرينه في بلاد العالم الثالث فإنه من الناحية الاقتصادية يُحبذ أن يكون هذا الأخير هو الذي يموت بالسرطان خصوصاً وأن استيراده للمصانع الملوثة يجنبه الموت المبكر من الشلل.. وفي نهاية عقد الثمانينات وبداية التسعينات غزت مفردات جديدة وسائل الإعلام والأوساط العلمية والثقافية حيث بدأ الحديث عن "نهاية التاريخ وبقاة من المصطلحات التي تسبقها كلمة (بعد..) مثل (بعد الحداثة - بعد الصناعي - بعد السوفيتي... وهكذا) ولكن من بين هذه المفاهيم حاز مفهوم "كوكبية Globalization على نجاح استثنائي، فهذا المفهوم يأتي في الواقع لدعم الخطاب الليبرالي الجديد ليبرر ما يحدث في الحياة الواقعية (بسكاي، ١٩٩٧، ٥). فالجذور الأيديولوجية لمفهوم المواطنة العالمية نجدها في العديد من الفترات التاريخية عبر موثيق وأفكار ونموذج معرفي ومنها: ميثاق حقوق الإنسان و الليبرالية الجديدة (الترويج لنهاية التاريخ).

ففي العقود الأخيرة ساد خطاب ايديولوجي يقوم على عدة مفاهيم منها مفهوم المواطنة العالمية بمضامين ودلالات ليبرالية متجاوزاً فكرتي الوطن والوطنية، أي متجاوزاً للجغرافيا والتاريخ والثقافة والوجدان الذي يربط الإنسان بموطنه ويشعر بالانتماء إليه بشكل أساسي.

- وتأتي فكرة المواطنة فلها دلالتها التي تعكس المساواة بين الناس أمام نظام محدد من الحقوق والقوانين وتحمل المسؤوليات والواجبات ومن ثم فهي تشترط إزاء المساواة بين أبناء الوطن العالمي فهل يُمكن تحقيق ذلك؟

- وتتجسد فكرة المواطن فعليا حيث ترتبط بتحقيق المساواة بينه وبين شركائه في الوطن لتحقيق المواطنة وتجسيد الانتماء لذلك الوطن وحق المشاركة على هذه الأرض التي هي الوطن الذي يحيا عليه ويشارك في صياغة حياته كمواطن ، فهل هذا يتحقق رغم اختلاف الأعراق والألوان والجنس..والأرض..في ظل المواطنة العالمية؟ وهل في إمكان الحكومات تجاوز المسائل

السياسية وتأثير المادية المتصاعد والشركات متعددة الجنسيات وعمليات الربح ذات الأولوية عن الأخلاق إلى غير ذلك مما تمت الإشارة إليه.

ويشير "العليبي" أيضاً إلى أن فكرة الكيان الواحد الذي تتجسد فيه السلطة والتي تمثل الإرادة الواحدة التي تضمن للجميع السلام الداخلي والخارجي تتمثل في إرادة رجل واحد أو الرئيس الحاكم أو الدولة: "إذ لابد من أن يُخضع كل فرد إرادته وحكمه لإرادة هذا الرجل وهذا المجلس وحكمها" وأن هذا شرط ثان للمواطنة غير المساواة أمام الحقوق بمعنى الخضوع للقوانين حيث نكون أمام الدولة باعتبارها اتحاداً، فهي الكل الذي تذوب فيه الأجزاء، فيبدو كما لو كانت بشخص واحداً اتحد فيه سائر الأشخاص وإرادة واحدة تعبر عن إرادة الأغلبية. وهذا ما يشير له "العقد الاجتماعي" كأحد الجذور الإيديولوجية للمواطنة العالمية أو الكونية، فيكون الغرب تحت مظلة الكونية أو العالمية صاحب الإرادة العليا التي تعبر عن إرادة كل شعوب العالم وتكون بذلك كلمته واختياراته نافذة إذ تعبر عن إرادة الأغلبية (الشعوب)! ويلخص جان جاك روسو ماهية العقد الاجتماعي الذي برز ضرورة المواطنة وتحقيق المساواة بين الناس من منظوره:

"أن يضع كل واحد منا شخصه وكل ماله من قوة تحت تصرف المجموعة، وأن يخضع للمشئة والإرادة العامة وأن يلتحم بكل عضو من أعضاء المجموعة باعتباره جزءاً لا يتجزأ منها" (العليبي، الميادين، نت).

وإذا كان العقد الاجتماعي أحد جذور مفهوم المواطنة فكيف يكون حال الدول والشعوب في ظل هذه الأيديولوجيا الآن؟

- وفي حين تروح الليبرالية الجديدة للعالمية والكونية وسرع من ذلك التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي جعل من العالم قرية كونية صغيرة ومن ثم لا سيادة لوطن محدد، وتتجاوز ذلك بكل ما هو دولي وعالمي في كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والقانونية وغيرها، مشهورة بذلك وعلى أساسه فكرة المواطنة العالمية طبقاً لما تمليه المصلحة الغربية حيث تتكرر سيادة الأوطان في الهوامش والتوابع وتركيبها في المراكز (الليبرالية). ترى "هيرتس": أن مطالب رأس المال ليست هي دائماً نفس مطالب المجتمع. إننا نحن الشعب معرضون للرحيل عن أوطاننا وفي عالم الإيديولوجيا الواحدة، عالم القرن الحادي والعشرين، إذا أخذت الأمور تسوء، فإلى

أين يستطيع المواطن العالمي أن يذهب ليمنح ملجأ؟ هل هناك مكان يستطيع التوفيق فيه بشكل أفضل بين الأولويات المتضاربة في معظم الأحيان؟ هل هناك مكان تستطيع الحكومات فيه أن تظل نزيهة أو لا يعتمد فيه رجال السياسة كثيرا على الشركات الكبرى؟ هل يستطيع من يعيش منا في العالم المتقدم على الأقل أن يجد راحة في شعوره بأن الديمقراطية صالحة لنا ضمن الضغوط التي تفرضها العولمة؟ (هيرتس ، ٢٠٠٧ ، ١٠٤). ومع كل ما سبق تدعم اليونسكو أيضا هذا المفهوم "المواطنة العالمية" وتسعى في برامجها لتعليمه في بعض التقارير التي صدرت عنها كتقرير مثل ٢٠١٧، ٢٠١٩. حيث جاء في تقرير اليونسكو (٢٠١٧) أن تعليم المواطنة العالمية يعكس الإحساس بالانتماء للمجتمع الأكبر والإنسانية جمعاء ، وتسلط بذلك الضوء كما ترى على الترابط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وتعزز الترابط الوطني المحلي والقومي والعالمي ، في حين أن هناك تعاريف وتفسيرات متنوعة ومختلفة لتعليم المواطنة العالمية تستلزم المجالات الثلاثة: المعرفية والاجتماعية العاطفية والادراكية السلوكية ، والتي تهدف إلى تمكين المتعلمين في الانخراط والمشاركة. وتحقيق أدوار نشطة محليا وعالميا لمواجهة المشكلات العالمية وحلها ليصبح العالم في نهاية المطاف أكثر عدلا وتسامحا وسلمًا. وفي إطار ذلك يتم استخدام مصطلح المواطنة العالمية على أنه مصطلح شامل يغي المناهج التعليمية ذات الصلة بتعليم السلام وتعليم حقوق الإنسان والتعليم من أجل التسامح وتقدير التنوع وحل النزاعات وكذلك التربية المدنية.

- ما سبق يعبر عن وضع مثالي وكأن العالم على مستوى واحد من الفهم والمشاركة ، ولكن المستقرى لبعض جوانب التقرير يجد أن الدول التي يتم تطبيق ما تضمنه التقرير ما هي إلا دول الجنوب الأفريقي والأمريكي والآسيوي العربي وكأن شعوب تلك الدول هي التي يجب أن يقع عليها فعل المواطنة لتتصاع لهيمنة بيقة العالم (الغرب) والسؤال الطبيعي هنا لماذا لا يتم تعليم المواطنة العالمية لشعوب الدول الغربية؟ وطبقا لقناعات هذا العمل تكون الاجابة لأن ما يصفونه بالمواطنة العالمية هي في الحقيقة مواطنة غربية ودعوة بثوب جديد بمفهوم جديد للنمذجة والهيمنة الغربية.

ثالثا: دواعي ومبررات الوعي النقدي بالمواطنة العالمية.

يوجد العديد من مبررات ودواعي الوعي النقدي بما يقدمه النموذج الغربي من مفاهيم وأهمية تفكيك تلك المفاهيم التي تخدم مصالحه فقط ، ومنها مفهوم المواطنة العالمية. وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا العمل مجرد عمل كاره لكل جديد وغير مرحب بالتطور والحدثة ، بل ومؤمن بنظرية المؤامرة مما يعوق أي تطور ، إلا أن ذلك ليس بصحيح فالأمر يتعلق باحترام الذات وتقدير الهوية والخصوصية وضرورة الوعي بكل ما يرد إلينا من مفاهيم وأفكار التي نتعامل معها ونرسخها في نسيج ثقافتنا وقد تحمل في طياتها شر مضمّر دون مبالغة ولا تهويل ، والتاريخ أثبت ذلك مرات عديدة مما يستوجب ضرورة الوعي. وفي سياق النموذج الغربي العديد من المفاهيم التي تستوجب اليقظة والحذر لما يحمله هذا النموذج من تناقضات وتحيزات وما ترتب عليه من إشكاليات ، يمكن تناول بعضها كما يلي:

فيما يتعلق ببعض التناقضات الغربية والنزعة إلى الهيمنة على مقدرات الشعوب مما يُثير الشكوك وعدم الثقة في المفاهيم التابعة لمشروعها المادي و الليبرالية الجديدة ، يمكن استجلاء هذا الأمر من خلال العديد من الدراسات فيقول "محمود أمين العالم":

"...إن العولمة والهيمنة أسهمت في تفجر الاختلافات والتناقضات والصراعات داخل بنية البلاد الرأسمالية وبين بعضها البعض ، وداخل الخصوصيات والهويات القومية والعرقية والثقافية والدينية وبين بعضها البعض وبين الهيمنة الرأسمالية العالمية...لحد وصول الوضع إلى هيمنة حضارة عالمية ذات نمط رأسمالي سائد...وفي إطار هذه العولمة والهيمنة تحتدم صراعات المصالح الاقتصادية والتجارية بين البلاد الرأسمالية نفسها...كما يحتدم صراع الهويات والخصوصيات القومية والوطنية والدينية بين بعضها البعض ، وبينها وبين الهيمنة الرأسمالية على أسس مصلحة ، وإن اتخذت مظهرا قوميا أو دينيا. ولهذا تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تنميط العالم تنميطة سياسيا واقتصاديا ، ومحاولة تنميطة ثقافيا دعما لهيمنتها وتحقيقا لمصالحها الخاصة ، وليس دعما لوحدة الحضارة أو تطورا أو تنمية بشرية ديمقراطية لهذه العولمة" (العالم ، ١٩٩٧ ، ٤-٥). فهنا فكرة العالمية مطروحة في إطار المشروع الغربي بشدة والتي يمكن أن تحل

محلها بسهولة فكرة أو مفهوم "الغربية". الأمر الذي ساهم في تغييب العديد من الأخلاقيات والمعاني الإنسانية التي أفقدت الإنسان جزء كبير من رصيده المتميز كإنسان.

كما أن مشهد التطرف في كل من الذاتية والموضوعية في إطار الحادثة المتأخرة وما بعد الحادثة يشير إلى خلل في دياكتيك العلاقة بين العقل والواقع ، ويتضح هذا الأمر في الخلل الحادث بين التقدم العلمي والتكنولوجي والتقدم في المجال الإنساني الأخلاقي والثقافي ، وكل ما يتعلق بالمثُل والقيم والمعايير غير المادية (Zayed,2009,140). وهذا كشف عن التناقض الذي تعانيه الحضارة الغربية في جوانب عدة منها التناقض المرتبط بالقيم الغربية التي تفرضها على العالم ، وبين ما يحدث بشكل واضح وجلي للتدخل الغربي في حياة الشعوب غير الغربية باسم الديمقراطية والحرية... وهو لا يسعى لذلك بشكل موضوعي مثالي ، بل لتحقيق مصالحه الخاصة وفرض هيمنته كما أفرز الواقع محاولات الهيمنة الرأسمالية على مقدرات الشعوب.

ويمكن رصد التناقض في فكرة المواطنة وإرساء الحقوق المتساوية والذي يُدّيه الغرب متمثلاً في فرنسا أثناء احتلال الجزائر ولتحقيق مصلحته كمستعمر في قول جون بول سارتر: "المستعمر الذي تتعارض مصالحه مباشرة مع مصالح الجزائريين ، والذي لا يستطيع أن يعيش إلا على الاستغلال والاحتكار لا يستطيع أن يقرّ هذه الحقوق - الحقوق المتساوية بين المواطنين - إلا لنفسه... ويؤيد كل التأييد النزعات العنصرية التي لا تذهب مذهب شمول الحرية البرجوازية، من أن جميع الناس يتمتعون بحقوق واحدة، بل إنه يصنع من الجزائري رجلاً أدنى مستوى من سائر البشر (سارتر، ب.ت، ٢٣)

ويستمر "المسيري" في تحليله لوضع الإنسان الذي تم هندسته في إطار المشروع الغربي فيقول: "ثمة ترادف بين الطبيعة / المادة وبين السوق / المصنع ولذا نجد أن الإنسان الطبيعي أو الإنسان الرشيد يصبح الإنسان الاقتصادي ، أي الإنسان الذي يتحرك أيضاً في إطار المرجعية المادية ، فيتم تجريده في إطار مفهوم السوق / المصنع إنساناً بسيطاً ذا بُعد واحد ، ينتج ويستهلك ، ويدخل في علاقات تعاقدية واضحة بسيطة مجردة برانية (لا في علاقات تراحمية مركبة) ويخضع لآليات السوق (خضوع الإنسان الطبيعي والرشيد للطبيعة) ويؤسس حياته على أساس القيم الاقتصادية ، مثلاً يؤسس الإنسان الرشيد حياته على أساس القيم العلمية ، ومثلاً

يؤسس الإنسان الطبيعي حياته على أساس القيم المادية . وهو أيضا متمركز حول الذات تمركزه حول الموضوع ، صاحب إرادة مطلقة قادر على إحداث التراكم والدخول في تنافس حر والبقاء من خلال الإرادة (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٢٨-٢٩). ما سبق يعبر عن مآرب المرجعية المادية.

ويكشف "المسيري" من خلال طرحه لهذا المشروع العلماني المادي أنه لم يقتصر على العالم الرأسمالي كما كان يعتقد "ماركس" ، إنما يشمل العالم الاشتراكي أيضا حيث يستند المشروع الحداثي الغربي بأكمله على التجريد والترشيد لذا كل الظواهر الناجمة عن التجريد في العالم الرأسمالي ظهرت أيضا في العالم الاشتراكي. لذلك تحدث المسيري عن السوق/المصنع لا على السوق فحسب.

وفي إطار ذلك طرح "المسيري" مفهوم "ماكس فيبر" عن الترشيده وهو تحويل المجتمع بأسره إلى حالة المصنع والسوق . لذا رأي أعضاء مدرسة فرانكفورت أن تصاعد معدلات الترشيده في المجتمع أدى إلى اختفاء الفرد والقيم الثقافية والروحية والعقل النقدي القادر على التجاوز " (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٣١-٣٢).

- المتأمل لما سبق يرى أن المواطنة العالمية تبدو وكأنها قمة الموضوعية كما يفهمها العالم بشكلها الايجابي تجاه العالم كله ، إلا أن المستقري للمشروع الغربي الحديث يلمس فيها قمة الذاتية المتحيزة للغرب ولصالحه للحد الذي يُمكن القول أنها الدعوة إلى "المواطنة الغربية وليست العالمية". ويمكن استجلاء أبعاد تلك الفكرة من خلال الإجابة عن سؤال كيف يُمكن أن نتحدث عن مواطنة عالمية في ظل رؤية معرفية علمانية امبريالية استعمارية للغرب. وهو ما يمثل مبرر آخر لاستجلاء أبعاد مفهوم المواطنة العالمية ونقده.

من خلال استقراء المنظومة القيمية الأخلاقية في ظل المشروع الحضاري الحداثي الغربي يُمكن الشعور الدائم بالزج بالقيم الغربية وطرحها على أنها ذات سمات عالمية تصلح لكل البشر على وجه الأرض دون مراعاة خصوصية الأمم ولا للتعددية الثقافية والقيمية.. للحد الذي نلمس التناقض فيما يطرح من أفكار ومفاهيم لخدمه مصالحه.. والذي يتوجب على الآخر الحذر والوعي تجاه المفاهيم الغربية لسببين أحدهما التناقض الذي تستلزمه المصلحة الغربية ، والثاني للسلبات والإشكاليات المرتبطة بالنموذج المعرفي الغربي نفسه (المادي/ الطبيعي).

وقد طُرحت العديد من القيم الغربية المختلفة ، والتي وُصفت بالعالمية ، تلك التي نشأت في الغرب ثم انتقلت إلى سائر الأمم بآليات مختلفة أبرزها الاستعمار الغربي لدول العالم ، الذي امتد إلى أرجاء مختلفة منه. والمستقرئ لتلك القيم ثقافيا وتاريخيا وكيف تم اختبارها غربيا في أماكن متفرقة من العالم غير غربية ، من الممكن ببساطة نلاحظ مدى التفاوت في دلالات تلك القيم وخاصة في تطبيقها واقعيا. فقراءة متأنية للقيم الغربية المنشأ العالمية في اتساع تطبيقها كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان .. وغيرها نجدها تحظى بالعناية النسبية على حسب الطرف التاريخي والفلسفي والثقافي الغربي. إلا أنها لاتحظى بمثل هذه العناية من الغرب في البلدان غير الغربية إلا بالقدر الذي تحقق فيه المصالح الغربية. أما تلك الدول التي تتبى تلك القيم دون النظر إلى ضرورة الوعي النقدي المصاحب في تبنيها من عدمه فتعيش حالة من التهرب المغاير لطبيعة سياقها فتحيا حياة ليست بحياتها ولا تنعم بثمارها.

وعلى الجانب الآخر وفي إطار الرغبة الغربية في الهيمنة وفرض سيطرتها ، تزعم بسيادة قيمها وعالميتها كالحرية والديمقراطية...في حين أنها لاتعترف بالآخر ولا تعترف بأن هناك قيم غير غربية وهذا ما يوصف الغرب بالتناقض في مشروعه. فيرى "كنهيدي ماشاكوجي(١٩٩٧): "أن التناقض المرتبط بالقيم الغربية العالمية ، سببا رئيسيا للشوش والخلط بين الأمور. على سبيل المثال ، فإن حقوق الإنسان هي قيمة عالمية تستخدمها شعوب كثيرة في نضالها في سبيل التحرر. كما أنها ايديولوجية عالمية يستخدمها الطرف المهيمن لإضفاء الطابع الشرعي على سياساته التدخلية في المناطق غير الغربية... ولا ينبغي للتدخل الغربي المهيمن لصالح الديمقراطية وحقوق الإنسان أن يتجاهل الحقيقة المتمثلة في أن الهدف من وراء هجومه وتدخله ما هو إلا نتيجة مترتبة على ايديولوجيته للتقدم والتنمية الاقتصادية. وإذ تسعى القوى الغربية إلى التدخل لدعم الديمقراطية الداخلية ، فإنها تناقض مبدأها الذاتي الخاص بالديمقراطية الدولية ، أي مبدأ عدم جواز التدخل...وثمة مشكلة أخرى ترتبط بأساس الزعم الغربي بعالمية قيمه الرئيسية ، وتكمن في أن هذا الزعم يتجاهل وجود قيم غير غربية عالمية بنفس القدر، يمكن أن تكمل القيم الغربية وتسهم في بناء عالم أكثر إنصافا وأمانا لشعوب العالم بما فيها شعوب الغرب"(ماشاكوجي ، ١٩٩٧ ، ٣-٤).

وتقول نورينا هيرتس: "المسألة لا تقف عند حد بيع الأسلحة لأنظمة قمعية ، فإن فكرة حماية حقوق الإنسان كلها ، وهي مفهوم اصطبغ بمعنى حقيقي بعد الحرب العالمية الثانية ، قد نحيت جانبا عندما انصب اهتمام الحكومات الغربية على حاجتها لترويج التجارة وتبني مصالح شركاتها عبر العالم...وقد انتقد بل كلينتون كمرشح للرئاسة في انتخابات العام ١٩٩٢ الرئيس جورج بوش الأب لأنه وعد بتجديد وضع الصين التجاري كالأمة الأكثر رعاية وذلك على خلفية انتهاكها لحقوق الإنسان ، ولكنه ما إن وصل إلى الرئاسة حتى قام هو نفسه بمهمة إدخال الصين كشريك كامل في منظمة التجارة العالمية"(هيرتس ، ٢٠٠٧ ، ٨٦-٨٧).

- تأسيسا على ما سبق يمكن القول بأن الحضارة الغربية تزعم القناعة بالتعددية الثقافية وتعددية القيم في حين تتناقض مع نفسها في عدم قبولها للتعددية في مفهوم ودلالات القيم طبقا لاختلاف الثقافات وكذلك اختلاف وتنوع الغايات. فتزعم تلك الحضارة بسيادة قيمها وعالميتها مثل حقوق الإنسان ، والديمقراطية وغيرها. وأنها لا تعترف بالقيم غير الغربية والتي قد تكتسب هي الأخرى العالمية من حيث الانتشار والممارسة ، وأن اتحادها وانسجامها مع القيم الغربية يمكن أن يخلق عالم أكثر انصافا مثل: القيم الإسلامية كالعادلة والمساواة الإنسانية وغيرها.

لذلك يرى "المسيري" أن الخطوة الهامة للغرب ولغيره هو أن الغرب يجب أن يصبح مرة أخرى "غربيا" لا (عالميا) ويجب أن يدرك محليته وخصوصيته الحضارية والجغرافية وأن ننفتح عليه بطريقة نقدية إبداعية تماما مثل انفتاحنا على الحضارات الأخرى ، وهذا لا يمكن أن يتم إلا باستعادة المنظور العالمي والتاريخي المقارن بحيث يصبح التشكيل الحضاري الغربي تشكيلا حضاريا واحداً له خصوصية وتاريخه ويتسم بما يتسم من سلبيات وإيجابيات تماما كما أن لكل التشكيلات الأخرى خصوصياتها وسماتها وتاريخها...، ومما سيساعد على هذا الأمر أن الحضارة الغربية قد فقدت مركزيتها المزعومة على المستوى المادي إذ ظهرت مراكز أخرى وأكثر حضارية ناجحة حتى بالمعايير المقبولة لدى الحضارة الغربية (المسيري ، ٢٠١٨ ، ١٣٢-١٤٠). فالإيمان بإنسانية مشتركة تستند إلى طاقة إنسانية كاملة في كل البشر تتولد منها أشكال حضارية متنوعة تفصل الإنسان عن الطبيعة وتميز أمة عن أخرى وفردا عن آخر .. هذا يعني أنه لا يوجد نقطة تاريخية نهائية واحدة ولا قانون مادي واحد يسري على الجميع ، فالنهائي هو الإنسانية المشتركة والطاقة

الإنسانية الكامنة التي تسبق كل الظواهر الإنسانية ذاتها والتي ترصد وتدرس بأشكالها اللامتناهية عن هذه الإنسانية المشتركة... ، ومن لا يحتفظ بهويته لا يمكنه أن يحتفظ باستقلاله وبمقدرته على المقاومة ، وفي نهاية الأمر بمقدرته على الإبداع.. وأن الربط بين الحادثة والاستهلاكية الفردية المطلقة هو الذي يساعد على إشاعة النموذج المعرفي الغربي ، وهو الذي أدخل العالم في هذا السباق المريع نحو الاستهلاك وهو الذي يؤدي إلى هدم الخصوصيات... أن المطلوب حادثة جديدة تتبنى العلم والتكنولوجيا ولا تضرب القيم أو بالغائية الإنسانية عرض الحائط ، حادثة تحيي العقل ولا تميت القلب ، تنمي وجودنا المادي ولا تنكر الأبعاد الروحية لهذا الوجود ، تعيش الحاضر دون أن تنكر التراث وهي مسألة ولا شك صعبة ، ولكنها ليست مستحيلة ، (حادثة بديلة) ، تحتاج لعقل (توليدي)(المسيري في: زايد ، ٢٠٢١ ، ١٣٠-١٣٢).

ويقدم فكرت بسكيا أمثلة على المفارقات والتناقضات العالمية في التسعينات من القرن العشرين ، ولنا أن نخيل حجم تلك المفارقات ونحن الآن في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرون ، كما يلي:

فالأرقام المطروحة والتي تخص بلاد الجنوب تنذر بالخطر، خاصة في السنوات التي تسارع فيها ايقاع العولمة المالية، فحسب تقديرات الفاو ١٩٩٤م يعاني ٥٩ مليون شخص من المجاعة المزمنة، وحسب تقدير برنامج الأمم المتحدة للتنمية (PNUP) عام ١٩٩٤م أن ٢٠% من السكان الأكثر ثراء في العالم يحصلون على ٨٤,٧% من الدخل العالمي، وهذه النسبة كانت تقدر ب ٨٢,١٠% عام ١٩٩٢م، ١,٣ مليار من سكان العالم يعيشون في فقر مطلق، أي ثلث سكان العالم يفتقدون الماء الصالح للشرب.. إنه عالم يخلف اقتصاد السوق فيه البطالة والفقر والتهميش والإستبعاد للبعض وثروة اسطورية للبعض الآخر.. بالإضافة إلى التدمير البيئي الجاري.. لا يمكن لأي مجتمع أن يتحمل ولو لوقت قصير جهد نظام مثل هذا النظام القائم على أوهام فادحة إذا لم يكن جوهره الإنساني والطبيعي، والتجاري لا ينعمون بالحماية ضد أعاصير معمل الشيطان هذا (بسكيا، ١٩٩٧ ، ١٠).

إن النظرة المزدوجة للغرب من خلال المنظمات الدولية والكيل بأكثر من مكيال تجاه دول العالم خاصة العالم الثالث، زرعت الشك وعدم الثقة في كل ما تكرر من مفاهيم.. إنها بايجاز مفاهيم براءة بمضامين وآليات سلبية.

فيرى محمد بسيوني (١٩٩٧): أن باستعراض القضايا التي تناولتها الأمم المتحدة خلال خمسين عاماً يؤكد أنها دائماً تأتي في دائرة رد الفعل تجاه أحداث العنف، ولم تبادر أبداً بالفعل لاحتواء مقدمات أي صراع قبل اندلاعه متأججة، وأمام تلك الحالة من محدودية دور المنظمة الدولية، أصبحنا أمام شعار براق يتحدث عن السلام وحقوق الإنسان وآليات ضعيفة، أو في أحسن الأحوال موجهة من قبل الدول الكبرى لتحقيق مصالحها أولاً على حساب الاستقرار العالمي، وبالتوازي مع هذا الواقع نجد حالة من التعصب للذات يدعمها تاريخ طويل من الرغبة في التميز وتجارب طويلة للهيمنة على المقدرات الدولية.. وبدافع سيادة وتغرد الجنس الأبيض نتيجة تفوق ونضج العقلية الغربية وامتداداً لقانون البقاء للأصلح أصبحت الدول الكبرى في الغرب (أمريكا وأوروبا) تعيش حالة من الإزدواجية تجاه المبادئ والقيم الإنسانية، فهي من ناحية تسعى إلى تطوير مجتمعاتها، وتحرص على حقوق الإنسان وتدعيم التقدم التكنولوجي والصناعي والديمقراطي داخلها، وفي المقابل تتعالى على دول العالم الثالث وتحجب عنها التقدم التكنولوجي.. وهناك رؤيتين متعارضتين لدى الغربيين حول التعامل مع دول العالم الثالث فالحكومات الغربية يحركها عادة دافع المصلحة وتبحث عن القوة والنفوذ وفرض الأمر الواقع على التابعين، وتمارس أبشع أنواع القمع والحصار على المعارضين (نموذج العراق - ليبيا - إيران - وكوريا).

والبعض من المثقفين والرأسماليين الغربيين يرون أن المساهمة في تطوير العالم الثالث يخدم الإنسانية ويحل مشاكل الكوكب الأرضي بالتعاون المشترك، بل ويدينون في بعض الأحيان السياسات الغربية، ويعتبرون أنها ضد حقوق الإنسان (بسيوني، ١٩٩٧، ٢-٣).

كما يرى بسيوني أن العالم العربي يتعرض للغزو الحضاري بشكل واضح وذلك من خلال عدة مداخل منها (بسيوني، ١٩٩٧، ٥):

- الرغبة الغربية في السيطرة على الثروات العربية.
- الإغراق السلعي للمنتجات الغربية للأسواق العربية.

- الترويج الإعلامي المستمر طوال العقود الأخيرة خاصة.
 - نقل الأفكار والتجارب عبر الدارسين العرب (من خلال البعثات).
 - امتصاص المدخرات العربية في آلية الاقتصاد الغربي عبر إيداعها في البنوك العالمية وارتباط المصالح بين فئة الحكام وأصحاب رؤوس الأموال وبين المصالح الغربية.
- هذا وكان موقف المتقنين العرب حول القضايا الكبرى في الوطن العربي ثلاثة اتجاهات بشكل متكرر، الأول: المتفقون الرافضون للنمط الحضاري الغربي الجديد شكلاً ومضموناً، والثاني: المتفقون الإنتقائيون بالحوار مع الغرب والتعرف عليه والبحث عن الإيجابي فيه واعماله في الواقع العربي، والثالث: المتفقون المقلدون لكل ما هو غربي والمبهورون عادة بالنمط الحضاري الغربي شكلاً ومضموناً.. ويرون في النمط الغربي خلاصاً للبشرية من مشاكلها.
- وإذا اتخذنا مثال كمفهوم الديمقراطية فهي لا تعني مجرد اجراء انتخابات معصومة أو منزهة من الخطأ والتجاوزات.. وإنما هي أيضاً كما يرى "رسول": (رسول، ١٩٩٧، ٢١، ٩):
- إصلاحات إدارية ومالية وتدعيم القوانين الوطنية لحقوق الإنسان وحياته الأساسية وتعزيز أسلوب الحكم والحوار الداخلي والمصادقية والنزاهة للمؤسسات الرئيسية في الدولة، والمساءلة عن الإجراءات المتخذة والشفافية في صنع القرارات ذات الصلة بظروف وشروط عمل ومعيشة المواطنين ومستقبلهم فهل يتم التعامل مع مفهوم الديمقراطية بهذا المعنى والمضمون في العالم الثالث؟ وهل يأمل هذا العالم خير من وراء مفهوم المواطنة العالمية؟ كما يمكن التوقف أيضاً عند مفهوم الحرية والعدالة الاجتماعية فيقول جان جاك روسو: محذراً بكلماته : أما فيما يتعلق بالثروة فإن المساواة تعني ألا يبلغ أي مواطن من الثراء حدًا يجعله قادرًا على شراء مواطن آخر، وألا يبلغ مواطن من الفقر حدًا يضطره إلى بيع نفسه".

أما ما يتعلق بتحيزات المشروع الغربي والت تمثل دواعي هامة للفحص والنقد تجاه ما يفرزه من مفاهيم ، يمكن ايجازها فيما يلي:

- ١- التحيزات للأخلاقية للنموذج المعرفي الغربي المادي في وضع المفاهيم فيه ، مما يجعلنا ننتبه للفلسفة الكامنة خلف تلك المفاهيم، كمفهوم المواطنة العالمية ، حيث يتحيز هذا النموذج المعرفي كما يراه "عبد الوهاب المسيري" للعام على حساب الخاص (التعميم لحد العالمية وإن

صح القول تغريب العالم بالقيم المادية والتوجهات الغربية لا العالمية بالمعنى الذي يحترم الخصوصية والتعددية) فتزيد فرصة التحكم والسيطرة لديه. وحتى يتم تصفية الثنائيات خاصة الأساسية (الخالق/المخلوق - الإنسان / الطبيعة - الذات/الموضوع)، وهو المستوى الذي يتم فيه الوصول إلى القانون الطبيعي/المادي ، حيث يتسم العالم بالسهولة واللاتحد واللايقين اللامعنى ..فتزيد فرصة التحكم والسيطرة أيضا. ومن تلك التحيزات للأخلاقية التي تبناها النموذج المعرفي المادي(المسيري ، ٢٠١٨ ب ، ٧١-٧٤) ما يلي:

- **التحيز للطبيعي والمادي على حساب الإنساني وغير المادي:** وهو تحيز ضد الطبيعة البشرية لصالح الطبيعة المادية وطبيعة الأشياء ويظهر هذا في محاولة تفسير ما هو إنساني بما هو طبيعي وغير إنساني مما يخضع الإنسان بشكل مطلق لقوانين الضبط والقياس والتحكم والتفسير التي تستخدم في دراسة الظواهر الطبيعية ، وتخضع الظواهر الاجتماعية لممارسات مناهج البحث في العلوم التجريبية نفسها ، وهذا ما يسمى بوحدة العلوم في مقابل استقلال العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية والتي يسميها "المسيري"(واحدة العلوم). وهو ما يرفضه "المسيري" ويدعو إلى تفرد الظاهرة الإنسانية والعلوم التي تدرسها.(وهذا يُعد فكرة في اتجاه العالمية المزعومة)
- **تحيز للعام على حساب الخاص:** على افتراض سائد أنه كلما تم تجريد الظواهر من خصوصيتها وارتفع المستوى التعميمي ، ازدادنا علمية ودقة ، لنصل إلى مستوى تعميمي يقال له علمي وعالمي ، بحيث تسد فيه كل الثغرات وتصفى فيه كل الثنائيات وهو المستوى الذي يتم فيه الوصول إلى القانون (الطبيعي/المادي). و"المسيري" يرفض ذلك ويؤكد على خصوصية الإنسان وتجاوزه لما هو طبيعي ومادي.(ومن ثم التأكيد على خصوصية المجتمعات والثقافات والهويات والوعي النقدي تجاه مفهوم المواطنة العالمية).
- **تحيز للمحسوس والمحدود والكمي وما يقاس على حساب غير المحسوس واللامحدود والكيفي** وما لا يقاس وهنا تم اغفال ما هو معنوي وأخلاقي ، وهو أمر غير مقبول في إنسانية الإنسان.
- **تحيز للبسيط والواحد المتجانس على حساب المركب والتعدي وغير المتجانس:** فيتم التحيز إلى الظواهر البسيطة والتفسيرات البسيطة التي ترد الظاهرة إلى مبدأ واحد أو متغير واحد أو

متغيرين ، ويتم تفسير السلوك الإنساني من خلال نماذج بسيطة. في حين يتحيز "المسيري" للمركب والمتعدد وتفسير السلوك الإنساني لنماذج تحليلية مركبة.

■ **تحيز للموضوعي على حساب الذاتي:** والإلزام بالموضوعية في هذا السياق يعني أن يتجرد الباحث من خصوصيته ومن التزامه الخلقي ومن عواطفه وحواسه وكنيته الإنسانية ، وإذا كان موضوع الدراسة هو الإنسان فبدلاً من الموضوعية الكاملة ثمة ذاتية مطلقة وانغلاق على الذات واكتشاف أن هناك انقطاعاً كاملاً بين الظواهر وغياباً لأي استمرارية ، ومن ثم لا يمكن التوصل إلى أي قوانين عامة فينتقل الإنسان من العقلانية المادية (والتحديث المادي والاستتارة) إلى اللاعقلانية العبثية المادية (ما بعد الحداثة والإلزام).

في النهاية الهدف من تحيزات النموذج المادي (اللاغاثة والعمومية والواحدية المادية والاستمرارية واللغة الرياضية) هو تيسير التحكم الإمبريالي في الواقع ، ومن يقاوم هذه العملية ، يتم تقويضه وتهميشه ويوضع في خانة مختلفة مثل "غير طبيعي" وغير مهم ، وفوضوي ولا يصلح موضوعاً للبحث.

ويعد أخطر ما سبق من تحيزات للمشروع الغربي المادي هو مساواة الإنسان بالأشياء (طبقاً للنظرة الواحدية) ، وتحيزاته المعرفية الواحدية.

بناءً على ما سبق يمكن السؤال عن: ماذا ستفعل المواطنة العالمية (الغربية) تجاه الإنسانية المهدورة؟؟

إن نقد المشروع الحداثي الغربي ، والذي يمثل نقداً لوضع الإنسانية ومدى هدرها للوصول إلى التقدم طبقاً للحداثة الغربية ، فإنه يتوجب علينا في إطار مشروع بناء الإنسان العربي أن نضع جوانب النقد للمشروع الحداثي الغربي والدعوة للعلمانية تحت مجهر الوعي وفي الاعتبار وبشكل جاد لأسباب عديدة ، أننا في فلسفة بناء الإنسان اعتمدنا كثيراً على الفلسفات الغربية واستهلكنا الفكر الغربي في جوانب عدة ، في حين أننا نمتلك مقومات البناء في ذاتنا ، مما يستوجب الحذر والحيطه من استهلاك المفاهيم الغربية ومنها المواطنة العالمية ، وذلك لما يلي:

- نقل المفاهيم من السياق الغربي بإشكالياتها دون نقد وفحص سبباً مباشراً ينقل إلينا المشكلات والسلبيات التي ارتبطت بتلك المفاهيم حيث أفرزتها فلسفة مغايرة واحتضنتها إيديولوجية معينة

في بلد نشأتها ، فتطورت في بيئتها الغربية التي هي مغايرة لبيئتنا وسياقاتنا التاريخية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

- التبعية الإدراكية التي ترسخت في مجتمعاتنا العربية والتي تكرر للإستتباع الحضاري من خلال بعض المفكرين المبهورين بالفكر الغربي (التيار التغريبي) يتقبلون خطابه التحليلي وهو خطاب في عمقه علماني مادي لا يشغله الأسئلة المعرفية النهائية ، وذلك دون إعمال العقل النقدي خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية فيقومون بنقل فكر الغرب دون أن يسألوا أنفسهم لماذا تغيرت رؤية وفلسفة الغرب مثلا من الحداثة إلى ما بعد الحداثة وما يرتبط بذلك من نقد ، بل ينشغلون بإقامة معارك وسفسطة فكرية حول ما لا ينتج شيئا ، لذلك فإن تلك العلوم دخلت عندنا في طريق مسدود لأنها تابعة للغرب ، مما يتوجب إجراء عمليات النقد على كل كبيرة وصغيرة في مشروع الحداثة الغربي ليتكون لدينا وعي نقدي لهذا المشروع بلا مخادعة.

- أن النموذج المعرفي الغربي ليس النموذج "المخلص" للمجتمعات بل أنه هدم ، وورط المجتمعات الغربية والتابع لها من المجتمعات الأخرى ، بالفكر العلماني المادي وتطبيقاته وهو ما نلمسه في واقع الحياة بآلياته الجهنمية ضد الإنسانية.

- أن نقدم ونوفر البديل العربي في بناء "الإنسان" وهو أهم ما تملك الأمم ، ومجتمعاتنا بشكل خاص حيث توصف بأنها مجتمعات شابة وفتية ، فيكون لدينا النموذج المعرفي العربي الذي يدعم الإنسان المركب/التراحمي ويجعله الغاية الأهم .. ليعود الإنسان إلى عمق إنسانيته في علاقته بنفسه وبربه ومن حوله لذا ، فنحن في حاجة إلى نقد المشروع الحداثي الغربي ، وأن نشيد لأنفسنا مشروعنا الخاص.

ويمكن التساؤل مع "المسيري" "ماذا يفعل الإنسان في عالم تُهمين عليه النماذج المادية؟" ولماذا نغفل عما يقدمه لنا الدين من صور ونماذج واضحة من رقي الإنسان وترقية حياته وعلاقته مع الآخرين؟ وكيف يحقق الإسلام هذه الحالة الراقية التنويرية للإنسان في علاقته مع الله ومع نفسه ومع الآخرين؟.

- ثم ماذا قدمت العالمية..والمواطنة العالمية من حقوق المحتاجين والفقراء في العالم وما طاله من دمار وخراب آلة الحرب الغربية في الحربين العالميتين الأولى والثانية وما تلاهما من حروب

القرنين العشرين والحادي والعشرين حتى الآن والحرب دائرة بين روسيا وأكرانيا ، هذا بالإضافة إلى الحروب غير التقليدية والمستمرة على مدار الساعة. وقد شهد العالم في ظل جائحة كورونا منذ ٢٠٢٠م... هذا الوباء الذي قلب ميزان الحياة في كافة المجالات سواء المادية الاقتصادية أو المعنوية غير المادية في كل بلدان العالم ومنها البلدان الغربية التي تسجل نسب وفيات وإصابات أكثر من غيرها من البلدان ، وتفرض الإغلاق الكامل لشهور متتالية؟ مثلاً جلّياً على اللامساواة واللاعلاقة.. وفي ظل ما يشهده العالم أيضاً من مجاعات وأزمات وآثار مدمرة للحروب باسم محاربة الإرهاب أو غيره تتجسد نفس الحالة. وهنا يمكن التساؤل: ماذا عن موقف الغرب وتطوره العلمي والتكنولوجي والتقدم ونشر، وتسييد نموذج المشروع الغربي التحديثي الذي عمق الفروق وزاد الفقر والمجاعات... وماذا قدمت العلمانية من رحمة بالبشر؟

لنا أن نتخيل الحضارة الغربية الحديثة بالعودة لحظات إلى وصف "المسيري" لتلك الحضارة المادية فيقول: أن الحضارة الغربية الحديثة في تصوري هي حضارة النموذج العقلاني المادي إنجازاتها الضخمة (التكنولوجيا . العلم . السيطرة على العالم) هي نتاج رؤيتها المادية ، التي مكنتها من استبعاد كثير من العناصر الأخلاقية والإنسانية (غير المادية) وذلك لتبسيط الواقع بهدف التحكم فيه (إذ لا يمكن التحكم إلا فيما هو بسيط). ولكن إخفاقاتها التي لا تقل ضخامة (الأزمة البيئية . الحروب العالمية . فقدان الاتجاه وتحول الوسائل إلى غايات . ظهور العبيثية والعدمية) هي أيضاً نتاج رؤيتها المادية ، وعادة ما نجد أن الإيمان بقيمتها هو في جوهره إيمان بكفاءة النموذج المادي في تجلياته المختلفة: الليبرالية الفردية أو الفاشية الشمولية أو الاشتراكية الجماعية أو البرجماتية والنيبتشوبية الداروينية) في تفسير الواقع وفي تحريكه (المسيري ، ٢٠١٩ ، ١٩١).

٢- كما أن هناك دواعي ومبررات أخرى لضرورة الوعي النقدي بما يقدمه النموذج الغربي وتفكيك مفاهيمه تلك التي تخدم مصالحه فقط .. هذا المشروع نفسه الذي فشل في موطنه وتوابعه في أمور عدة أهمها ما يلي:

▪ فشل المشروع الغربي في تفسير الظاهرة الإنسانية والاجتماعية:

فروية المشروع الحضاري الغربي للإنسان ، والذي اتسم بالمادية المفرطة أو اللاعقلانية المادية ، التي أفقدت وجردت الإنسان من كل معاني الإنسانية وقضت على جوهره ، ونقلته من

عالمه الخاص المميز إلى عالم الأشياء والحاجات والسلع ، مما جعله يؤكد فشل هذا المشروع المادي في تفسير الظاهرة الإنسانية والاجتماعية.

والنظرة للإنسان على أنه جزء لا يتجزأ من الطبيعة تلك الرؤية التي حولت الإنسان إلى شيء مادي ينطبق عليه قوانين المادة... ويمكن التعرف على جوانب رفض "المسيري" لتلك الرؤية من خلال استجلاء بعض الآليات التي انتهجها المشروع الغربي لتحقيق رؤيته وترسيخها ومن ثم تحقيق أهدافه ، ومن تلك الآليات ما يلي: (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٢٧٩-٢٨٦):

الوصول بالإنسان وتوقعاته إلى حد ثورة التوقعات المتزايدة ، وتكوين النماذج البشرية الوظيفية والأحلام المستحيلة ، والانتقال والهجرة ، وإزدياد عدم الطمأنينة حتى تتولد حالة دائمة من عدم الاستقرار والانتماء ، وخلق حالة من السيولة واللاتحدد ، وإزدياد حالة اللاطمأنينة وضعف الأمان في أكثر من مجال حيوي فنجد أنه اشتغل على تفكيك الأسرة للوصول إلى قمة التفكك والوظيفية ، هذا مع النسبية المعرفية والأخلاقية ، والهجوم على الطبيعة البشرية ، وترسيخ عمليات الترشيح المادية.

■ سمات المجتمع العلماني والإنسان الذي يسعى إلى بنائه من خلال رؤيته للظاهرة الإنسانية.

فمن المبررات أيضا هي ما آل إليه المجتمع الذي أنتجه المشروع الحضاري الغربي المادي وما اتسم به من سمات يمكن ايجاز بعضها فيما يلي:

- مجتمع يكرس عدم الانتماء لدى الإنسان بجعله دائما غير مستقر بتشجيع الهجرة والترحال في الزمان والمكان والعمل.
- الهدف النهائي الذي يسعى إليه الإنسان في المجتمعات العلمانية هو التقدم مهما كلفه من ثمن حتى ولو كان الإنسان نفسه "إنسانيته وتميزه عن سائر المخلوقات".
- مجتمع يكرس الصراع والتناحر والتفكيك المستتر خلف زعم التنافس.
- مجتمع نزع عن الأسرة قداستها وخصوصيتها كمؤسسة مربية ، فكرس فيها هي الأخرى الصراع والتناحر ، فلم تعد المأوى والملاذ ولم تعد مصدر الأمن والأمان للإنسان كما كانت من قبل.
- كرس لدى الإنسان نزعة الاستهلاك ورده إلى حاجاته المباشرة حتى أصبح البقاء بالنسبة له هو الهدف الأوحد ، فينتقل من مكان لآخر لتحقيق ذلك.

- جعل الإنسان دائم التشكك والتربص بالآخرين ولديه قدرة كبيرة على التنافس للحد الذي ينفصل عن القيم الأخلاقية.
- رسخ عند الإنسان السعي وراء اللذة والمنفعة والبُعد عن الروحانيات وكل ما هو مركب غير خاضع للقياس أو التحكم ، ومن ثم أبعد الإنسان عما يميزه عن سائر المخلوقات وأفقده المعنى والمغزى من وجوده الحقيقي ، فحوّله إلى إنسان مادي بسيط يلهث وراء حاجاته المادية وهو في سياق ذلك فقد روحه وجوهره الإنساني الرباني.
- من خلال تكريس السمات السابقة لدى الإنسان الذي يخضع لمعايير المشروع الحضاري الغربي العلماني المادي وآلياته يكون هذا المجتمع قد قضى على أعظم سمات الإنسان الذي ميزه بها الله سبحانه وتعالى من رحمة وترحم وخلق وقيم وأحاسيس ومشاعر ومعاني...إنه عملية ذبح للذات الإنسانية باسم التقدم.

■ موقع ومكانة الإنسان والطبيعة البشرية في المشروع الغربي:

هذا المبرر يجعل نقد مفهوم المواطنة العالمية أمر ضروري وعدم الثقة في دلالاته الطوباوية الغربية. فما سبق يمثل الإجابة عن سؤال: ما موقع الإنسان في فكرة الترشيد في ظل الفلسفات المادية التي تعبر عنه؟ ولعل فلسفة نيتشه والدارونية الاجتماعية والبرجماتية هي التعبير المباشر عن الأخلاقيات المادية العملية الرشيدة ، وهي فلسفات طرحت شعارات مثل: قبول الأمر الواقع والتكيف معه ، والصراع من أجل البقاء ، والبقاء للأصلح . حيث يصبح البقاء المادي (الذي ليس له مضمون خلقي أو إنساني أو أي مرجعية متجاوزة) هو المطلق ، وتصبح آليته الصراع (دون معايير أخلاقية أو إنسانية). ويرى "المسيري" أن الإنسان بهذا الشكل الذي يكرسه المشروع الحداثي الغربي المادي أصبح إنسانا رشيديا حديثا يتسم بخاصيتي التمرکز حول الذات والتمرکز حول الموضوع (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٢٧ - ٢٨). فإنسانا متمرکزا حول ذاته ، متوقفا حولها يعرف أن هدف الحياة هو المنفعة (منفعته هو) واللذة (لذته هو) ، ولكنه في نهاية الأمر أصبح إنسانا متمرکزا حول الموضوع ليست له ذات محددة أو هوية واضحة حيث أصبح: إنسانا متكيفا واقعيا ، حركيا مرنا هويته لا تتسم بالصلابة يمكنه تغيير قيمه بعد إشعار قصير ، بل يمكنه إعادة بناء شخصيته بسرعة حتى يواكب التطور ويتبع آخر الصيحات والموضات ، وحركة المجتمع المتسارعة والتي

تكون عادة دون هدف إنساني واضح كما أصبح إنسانا موضوعيا قادرا على تحويل ذاته إلى موضوع ، على رؤيتها في ضوء المعايير الموضوعية الواحديه المادية ، وعلى كبح جماح عواطفه وأحاسيسه الأخلاقية بصرامة غير عادية ، فهي أحاسيس شخصية لا يمكن أن يمارسها إلا في حياته الخاصة ، فهو إنسان قادر على التمسك لأهداف مجردة لا علاقة لها بالوجود الإنساني المتعين . مثل تعظيم الفائدة ومصلحة الدولة ، والتراكم والإنتاج من أجل زيادة الإنتاج . باحث عن التقدم من أجل التقدم دون أن يحدد الغاية النهائية لهذا التقدم ، وأخيرا أصبح إنسانا وظيفيا مجردا في ضوء وظائفه واحتياجاته المادية.

٣- مبرر آخر لنقد وتفكيك مفهوم المواطنة العالمية لارتباطه جذريا بالرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية الاستعمارية للغرب:

- ومن جوانب تلك الرؤية ما يلي (المسيري ، ١٩٩٩ ج ، ٦٧ & المسيري ، ٢٠١٦ ، ١٩٥):
- الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية تركز على هذه الدنيا فتراها في إطار الواحديه المادية وترى أن هدف الإنسان في الكون هزيمة الطبيعة والإنسان والمجتمع على هدي هذه المنظومة. وهذا ما فعلته الصهيونية بفلسطين واليهود العرب.
 - تستبعد الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية أي إيمان بأية حدود.
 - تجعل الإنسان الغربي مركز الكون وتسبغ عليه محورية وقداسة ومطلقية ، فهو صاحب رسالة حضارية تُسمى عبء الرجل الأبيض وهذا ما فعلته الصهيونية مع اليهود الذين تحولوا إلى شعب مختار بالمعنى المادي العلماني.
 - مركزية الإنسان الغربي تمنحه حقوقاً مطلقة وتجعله المرجعية الوحيدة .. وهو ما أعطى اليهود حقوقا مطلقة في الأرض بحيث ينقل سكانها بعيدا ويأتي آخريين ليوطنهم لخدمته.
 - المنظومة العلمانية الإمبريالية تنكر الآخر وأية منظومات قيمية أخلاقية إلا أخلاق القوة ، وهذا يتضح في النزعة الانتشوية القوية في الفكر الصهيوني.
 - تلك الرؤية مبنية على تصدير المشاكل للخارج بحيث يدفع بقية العالم فواتير التقدم الأوروبي. والحل الصهيوني بهذا المعنى هو حل إمبريالي مبني على تصدير مسألة اليهود إلى فلسطين

- لحل مشاكل أوروبا وتوظيف العنصر البشري لصالحها... فالدولة الصهيونية سياسياً قاعدة للإستعمار الغربي تُدين له ببقائها وتقوم على خدمته فهي دولة وظيفية تابعة للإمبريالية الغربية.
- من أهم العناصر التي ساهمت في تدويل الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية ؛ الرؤية المادية والعلمية نفسها للإنسان والطبيعة التي أدت إلى ظهورها وساهمت ثورة المواصلات والإعلام والتكنولوجيا في عملية التدويل هذه.
- نجاح الدولة المطلقة في مشاريعها الاستعمارية الأولى في زيادة شهوة الإنسان الغربي ورغبته في المزيد... كل هذا أدى إلى أن الدولة القومية العلمانية الغربية ، بعد أن رشدت الواقع الغربي ، جيشت الجيوش وأرسلتها إلى أرجاء العالم لاقتسامه ، ونهب مواده الخام وتحويل البشر فيه إلى مادة استعمالية عامة (استهلاكية/ إنتاجية/ لا استهلاكية).
- لذا يتوجب الوعي بالمفاهيم الغربية بل وغايات المشروع الغربي المادي وكل ما يرد إلينا من مفاهيم سواء باستيرادها طوعية أم قسراً عن طريق آليات الإختراق العولمية الثقافية.
- فيقول "مالك بن نبي(١٩٠٥-١٩٧٣) " : عن فكرة الإنتقال من حضارة الكم والأشياء إلى حضارة الإنسان والقيم: "أن النظرة في تاريخ الإنسانية منذ بداية التاريخ إلى العصر الحديث تؤكد أن الإنسان إذا تحرك تحرك المجتمع والتاريخ ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط وتزدهر فيه الحضارة وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات ، تبعاً لما يسميه "فعالية الإنسان في التاريخ" (رضا ، ٢٠١٨ ، ٢٣٠-٢٣٣).
- لذا فإن السعي لتشييد الإنسان تربوياً وثقافياً وبث الفعالية الحضارية في كيانه ، يمثل اللبنة الأولى والرئيسية التي ينبني عليها المشروع الحضاري كله عند مالك ابن نبي ، فبناء الإنسان في نظره أسبق من كل تشييد مادي في المشوار الحضاري ، وفي هذا يدعو إلى استيعاب أكثر ما يمكن من نتائج العلوم الإنسانية والتطبيقية قصد توظيفها لصياغة القوانين والمعادلات التي يعتقد أنها توجه الحضارات وتتحكم في دورتها الخالدة من الميلاد إلى الأفول ، ولا يستثني من هذه الناحية حضارة معينة عن غيرها من الحضارات الإنسانية.
- ما سبق يمثل جذور فكرية وفلسفية وتطبيقية لما يسمى بالمواطنة العالمية ، مبررات لضرورة الوعي والحذر.. وقد دعم هذه الفكرة الاتجاه بشدة نحو نشر وترسيخ فكرة الواحدية في الدعوة إلى

واحدية العالم - الجنس الواحد - التتميط - القيم العالمية الواحدة (المادية) - الثقافة العالمية - الحضارة الإنسانية الواحدة - المواطن العالمي . - وحدة المعرفة بدلا من الحديث عن تكاملها ، ووحدة الجنس بدلا من التكامل والتنوع.. إلخ. وتم ترسيخ ذلك من خلال الأسرة ومحاولة النظر إلى الجنسين بنفس المعايير أو لنقل توحيد تلك النظرة حتى يتلاشى الأمر ويصبح كل منهما مجرد إنسان مادي فقط - الموضة - المرأة - كل أنشطة الحياة المختلفة حيث التغيير الدائم والتطلع الشديد إلى الاستهلاك ..

- مما سبق أيضا يمكن القول بأن الحداثة الغربية بآلياتها وأدواتها حولت الحياة الإنسانية إلى نمط لا إنساني في كل مجالات الحياة وخاصة في أهم مؤسسة اجتماعية وهي الأسرة. والسؤال الذي يفرض نفسه في تلك اللحظة هو كيف يدعو البعض وخاصة من مفكري المجتمعات العربية أمثال مراد وهبة وغيره من المبشرين للعلمانية بأن نتخذ من المشروع الحضاري الغربي العلماني الحديث نموذجا للتنوير يُحتذى به في مجتمعاتنا ويبدشرون بحداثة عربية على الطراز الغربي بهذا الشكل وبالعلمانية كسبيل وحيد للتنوير؟ ألم يقدم النهج الإسلامي مشروعا تنويريا كاملا متكاملًا للتنوير ليس فقط للعرب والمسلمين بل للإنسانية كلها ، محافظا على كيان الإنسان وخصوصيته ماديا ومعنويا؟!

وقد يقود الأمر السابق لفكرة أن تلك الرؤية مرتبطة بالرأسمالية دون الاشتراكية ، إلا أن المستقرىء للواقع الغربي يرى أن النموذج الغربي سواء الرأسمالي أو الاشتراكي رغم أن كل منهما بدأ من منطلقات مختلفة إلا أنهما وصلا إلى نفس النتيجة ، وذلك عن طريق توظيفهما نفس النمط من العقلية وهو العقل الآداتي ، ذلك العقل الذي لا يُجيد التعامل مع الأمور الغائية الكلية ، ومعاد للتاريخ لأن بنيته ذات طبيعة تختلف عنه (غير مادية) فهو عقل يُجيد التعامل فقط مع الأرقام والكم والكثافة والحجم.. في حين نجد العقل النقدي على النقيض والذي يمكن توصيفه فيما يلي: (زايد ، ٢٠٢١، ١٠٦-١٠٩):

- عقل ينظر للإنسان على أنه كيانا مستقلا مبدعا لكل ما حوله من الأشكال التاريخية والاجتماعية.

- العقل الذي يدرك الحقيقة الكلية والغاية من الوجود الإنساني وغير قانع بإدراك الجزئيات المباشرة.
- عقل قادر على التعرف على الإنسان ودوافعه وإمكانياته والغرض من وجوده.
- هذا العقل قادر على تجاوز الأمر الواقع لذا سمي العقل النقدي بالعقل المتجاوز ، فهو يبحث في جذور الأشياء وأصولها وفي المصالح الكامنة وراءها والمعارف المرتبطة بهذه المصالح وهذا هو الجانب التفكيكي في العقل النقدي.
- العقل النقدي يرى أن التاريخ هو فعل إنساني لذا فالتاريخ هو الذي يرد إلى الإنسان صانع التاريخ وليس الإنسان هو الذي يرد إلى التاريخ.
- يرى أن الإنسان ينعقد من المادية ويمنع الاستغلال من خلال الترابط الحر بين الأفراد بحيث يكون عند كل منهم نفس الإمكانية لتنمية نفسه بنفس الدرجة.
- عقل قادر على صياغة نموذج ضدي لا ينطلق مما هو معطى ، إنما هو متصور وممكن في آن واحد.
- للعقل النقدي إذاً القدرة على الإسهام في عمل جهد تفكيكي ، والقيام بجهد تركيبى إبداعي فهو قادر على التمييز بين ما هو جوهري وبين ما هو عرضي.
- مما سبق يمكن القول بأن التيار النقدي قد ساهم في كشف الجذور المادية والأصول الوجدانية التي تأسس عليها المشروع الحداثي الغربي والعقل الذي تشكل في ظل هذه المنظومة الثقافية المتكاملة ، وفي منطق السيطرة الشامل الذي حكم سلوك الإنسان الغربي وفي تجلياته المادية المتجذرة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة وفي هدره لإنسانية الإنسان. وهذا يعتبر رد على قناعات الكثير من المفكرين المبشرين بالعلمانية الذين يعتبرون العلمانية سبيل أوحده للتنوير.

خاتمة عن:

التربية وآليات تنمية الوعي النقدي بالمفاهيم الغربية:

نبدأ هذا الجزء الختامي بتساءل "المسيري" ناقدًا للعقل الفلسفي العربي في افتقاد الرؤية: لماذا لم يكن لدينا تاريخ فلسفة عربية نقدي للفلسفة الغربية والعقل الغربي كما فعلوا هم معنا؟ ويقول: "لم يحدث أن تفلسف العقل العربي الإسلامي وقام بنقد الاتجاه الآخر فلم نأخذ فكر الآخر ككل ونقوم بنقده من خلال رؤيتنا المعرفية الأصيلة ، وهذا هو ما يفعله بعض الغربيين الآن بأنفسهم في نقدهم للفلسفة الغربية... ، ومن هنا نفتقد إلى تاريخ فلسفة عربية نقدي للفلسفة الغربية، ومن هنا نجد عندنا معلمي فلسفة ولا نجد فلاسفة عرب (المسيري ، ١٩٩٤ ، ٢٠).

مما يدعو إلى الوعي النقدي بأهمية الإفادة من كنوز الفكر والأدب العربي والعالمي وتحويلها إلى ثقافة اجتماعية وإطار فكري وتربوي فاعل للتغيير ومقاوم للإستلاب ، ومرجعية للتفكير لإثراء تجاربنا الإنسانية الراهنة والمستقبلية مع إحترام الثوابت الثقافية لمجتمعنا. وهو ما يقودنا بجرأة إلى المراجعة النقدية لثقافتنا ومواقفنا وانحيازتنا... لنكتشف من نحن ومن الآخر؟ وماذا نريد ، وماذا يُراد لنا؟ فهذا سبيل من سبل الوصول إلى الحقيقة إلى حيث الطريق للحرية ، وبناء الإنسان المقاوم الذي لا ينسى إنسانيته في سياق الصراعات المادية وتحديات العولمة والعلمانية الجارفة.

فيرى "وطفة" انه قد فرض علينا التطور الحضاري في المجتمعات الغربية أننا نعيش إشكاليات تخلفنا وإشكاليات تقدم الآخر بصورة مستمرة. أن أية نظرة للحياة التربوية في مجتمعاتنا ، بعيداً عن السياق الإشكالي للحياة الحضارية بصورة عامة ، ستكون نظرة غير تاريخية ورؤية غير منهجية . فالتربية ليست في معزل عن التحولات الحضارية الجارية بل توجد في صميم هذه التحولات مؤثرة ومتأثرة بالعملية التاريخية وبالتحولات الإنسانية الجارية (وطفة ، ٢٠٠١ ، ١٨٣) ويرى قاسم أحمد أن العالمية الحقيقة جاءت مع مقدم رسولنا الكريم محمد صل الله عليه وسلم فيقول: (أحمد، ١٩٩٧ ، ٧):

إن العالم الحديث قد بدأ فعليًا بمقدم النبي العربي العظيم محمد وتعاليمه لجميع البشر ، لقد أرسل الأنبياء من قبله إلى مجتمعات وطنية ليتناولوا مشاكل وطنية بذاتها، رغم أن الدعوة الأساسية للتوحيد هي الإيمان بالله والدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر ، كانت هنالك بالفعل منذ البداية،

إن دراسة القرآن ودراسة الوثيقة الدستورية الهامة المعروفة باسم "دستور المدينة" والتي منحها سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ، لدولة المدينة في "المدينة" سوف تزيل أي شك من أن العالمية الإنسانية، النظام الجمهوري حكم العدل الشامل، والعلم والمنهاج العلمي قد وصلت مع محمد (صل الله عليه وسلم).

لذا علينا أن نتخذ المزيد من الحيطة لتجنب زيف المقولات الغربية الأوروبية والأمريكية، بحيث لا يتم تكريسها وتعميقها وتجذرهما في نسيج المجتمع بغير وعي. فيرى "مسعود ضاهر" أنه: بمقارنة ما أحدثته مقولة "صدام الحضارات في العالم الإسلامي، خاصة العربي من جهة وفي جنوب شرق آسيا من جهة أخرى تؤكد بالملح أن اليابانيين والصينيين والكوريين قد عرفوا كيف يردوا على الأيديولوجيا بالعلم أي بالإيغال في عملية التحديث الذاتي وليس التغريب وذلك على قاعدة اللحاق بالغرب أولاً لتجاوزه، ثانياً: في حين أن تلك المقولة أحدثت ذعراً في العالم العربي والإسلامي، فانهالت عليها الردود العاطفية والإيديولوجية التي تفند بطلانها، وتظهر زيفها وهي زائفة أصلاً لأنها غير علمية (ضاهر، ١٩٩٧، ١٢).

ويتوجب في العلاقات الدولية بين الحضارات في الشرق والغرب تطبيق ما نص عليه إعلان مبادئ للتعاون الثقافي الدولي سنة ١٩٦٦م، والذي أصبح أحد المحاور الأساسية لليونسكو في مجال الثقافة، وينص هذا البيان في مادته الأولى على (يسين، ١٩٩٧، ٣):

- ١- كل الحضارات لها اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها.
 - ٢- كل شعب له الحق وعليه واجب تنمية حضارته.
 - ٣- كل الحضارات بكل ما فيها من تنوع واختلافات عميقة وتأثير متبادل على بعضها البعض، جزء من الإرث العام للبشرية.
- وقدم روبرت كوكس بعض الشروط لإقامة أرضية مشتركة للحوار بين الحضارات، ومنها: (يسين، ١٩٩٧، ١٠):

- ١- الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للحضارات الإنسانية المتعددة (وهذا شرط صعب لمن يتبنون منظور الهيمنة على العالم).

٢- تجاوز نقطة الإعتراف المتبادل والإتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية.

ويقدم السيد يسين لنا نحن العالم العربي خطة قومية للحوار بين الثقافات تقوم على مرتكزين الأول: القيام بدور نقدي مزدوج ويتمثل في النقد الذاتي، ونقد الآخر، أما المرتكز الثاني: فيقوم على أساس مرحلة انشاء وإبداع ، وهي أن يكون للعالم العربي صاحب الحضارات العريقة دور في صياغة النظام العالمي الجديد، دون أن تنفرد به قوة عالمية واحدة، وهي الولايات المتحدة الأمريكية (يسين، ١٩٩٧، ١١).

ويرى فكرت بسكاي: أن لا شيء يفلت من الإرادة الإنسانية فكل ما يُعاش وكل ما يُصنع ليس إلا نتيجة لنشاط الرجال والنساء اللذين يمتلكون موهبة التفكير والخيال مغيرين وسطهم بصورة واعية.. ولإتمام ذلك ينبغي كشف زيف هذه الأقاويل الإيديولوجية "الواعية التي لم تأت صدفة وتعرف ماذا تفعل".

وبناءً على ذلك لا تكون العولمة مساراً اقتصادياً فقط ولكن قبل أي شيء هي هجمة أيديولوجية ضد الأغلبية الإنسانية، وضد معذبي الأرض، إنها مهمة ملقاة على عاتقنا أن نكشف الزيف الأيديولوجي إذا أردنا بصدق أن ننجز شيئاً نافعاً. ويرى بسكاي أننا نحتاج قبل كل شيء أن نفعل الأشياء وأن نكشف زيف حجج مبشري الأيديولوجية الرجعية المسماة الليبرالية الجديدة والناطقين المتفلسفين بلسان العولمة المهمة هائلة والصعوبات أيضاً ولكن لا شيء يفلت من الإرادة والعمل الواعي للإنسان (بسكاي، ١٩٩٧، ٥-١١).

وإزاء المفاهيم المثالية في الشكل والخطيرة في المضمون والدلالات يرى (بكر محمود رسول) أن احتواء عالمنا المعاصر مفاهيم مادية خاطئة ينبغي تعميق مدركات وأسس إنسانية لتصحيحها وأن من المسلمات التي غيبتها هذه المفاهيم المادية الخاطئة ما يلي: (رسول، ١٩٩٧، ١٠) :

١- أن الموارد الناجمة عن زيادة الإنتاج والإنتاجية الوطنية ليست دليلاً على تحسن الوضع المعيشي للمواطنين أو التوزيع العادل للثروة الوطنية بينهم.

٢- إن الهدف النهائي لأي جهد إنمائي يُبذل لتعزيز التنمية الاقتصادية ينبغي أن يكون التنمية الاجتماعية للشعوب، ورفاهية كل إنسان وللإنماء الكامل لشخصيته.

٣- والمهم أيضاً أن بلوغ مراحل التقدم والرقى والنهضة والتحديث لا يعني بالضرورة التخلي عن الأخلاق أو التقاليد أو العادات فالجمع بين الجانبين الروحي والمادي أي المزاوجة بين الأخلاق والعلوم هو أساس كل تقدم حقيقي.

٤- إن النمو الاقتصادي المطلوب هو الذي يؤدي إلى زيادة تساوي فرص العمل وتخفيف حالات الفقر.

٥- أن هناك ترابطاً وثيقاً لا ينبغي إغفاله بين النمو الداخلي وقيام نظام إنساني تحرري من ناحية والسلم والأمن الدوليين من ناحية أخرى.

هذا ومن نتائج افتقار النظام العالمي الراهن إلى عوامل وقيم التكافل والتكامل الاجتماعي ما يلي: (رسول، ١٩٩٧، ١٣):

- تفاقم حالات البؤس الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
- نقشي وشيوع مظاهر التمييز والتفرقة والتعصب والظلم الاجتماعي.
- تصاعد المنازعات القومية والصراعات الداخلية وانتشار عدم التسامح والإضطهاد والكره التعصب.

- تدني مستويات احترام حقوق الإنسان وحياته الأساسية وازدياد حالات القهر السياسي. طبقاً لما سبق نحن نعيش إشكالية مزدوجة ، الأولى تخلفنا الحضاري ، والثانية مشكلات النموذج الذي فرض علينا أو فرضناه على أنفسنا "النموذج الغربي المادي". وهذا يتطلب ما يلي:

أ: تحرير ادراكنا من التعلق بالغرب:

نُعد التبعية الإدراكية أو تبعية في الوعي من أخطر أنواع التبعية وهي تعني بأن أعني وأدرك كما يعي ويدرك الآخر فأرى ما يرى وأشعر كما يريد لي أو كما أريد أنا على طريقته.

فقد أشار "عبد الوهاب المسيري" في ذلك لمثال استخدام "الكرسي" كيف كان يتبناه البعض على أنه دليل تقدم .. في حين استخدمه الغرب للحاجة إلى البعد عن بروده الأرض وهم في حال تخلفهم ، وأشار أن العرب واليابانيون لم يستخدموا الكرسي وهم في ذروة تقدمهم. والأمر نفسه ينطبق على كثير من الأفكار والنظريات التي ترد لنا من الغرب ، إذ نحن نتلقاها في سلبية موضوعية مذهلة ونقوم بتطبيقها على أنفسنا بكفاءة شديدة دون أن ندرس شيئاً عن جذورها أو نعرف شيئاً من

خصوصيتها الغربية ، ودون أن نعرف إلا القليل عن تضميناتها الفلسفية ، فنحن ننقل ما يراد لنا نقله داخل الأطر القائمة الجاهزة. " (المسيري ، ٢٠١٦ ، ٢٦٥-٢٦٦) فيقول:

"إن الإنسان الغربي بنى منظومته المعرفية والصناعية على أساس تجاهل الثمن الحقيقي للتقدم ، وانطلاقاً من قدرته على تصدير فواتير التقدم إلى الشرق من خلال هيمنته الاستعمارية ، أما نحن فإننا ندفع ثمن التقدم غالباً وكاملاً بلا نقصان ولا مهادنة ، ولذا من الضروري الوصول إلى مفهوم مركب لعلاقة الإنسان بالكون وبنفسه مفهوم يؤكد حرية الإنسان ومقدرته على إعادة صياغة ذاته ، وواقعه ، دون أن يستبعد سعادة الإنسان وطمأنينته أو قيمه وهويته ، أو حدوده وإنسانيته ، أو اتزانه مع نفسه ومع من حوله ومع بيئته باعتباره كائناً مكرماً مستخلفاً من الله سبحانه وتعالى في الأرض لإعمارها لا لتخريبها. أي أن تغيير الإطار المعرفي الذي نتحرك داخله وتغيير أسسه الأخلاقية والإنسانية أمر ضروري للإنسانية كلها".

ب: ضرورة الوعي بالمفاهيم والفلسفة والفكر الكامن من ورائها:

ونظراً لأهمية المفاهيم وخطورة توظيفها من خلال تلك التيارات المادية ، والتي تتطلب وعياً نقدياً تجاه التعامل معها. وذلك بامتلاك العقل الذي يستطيع تفكيك المفاهيم ويدرك التضمينات الفلسفية بها ، بحيث يبحث في جذورها وأصولها وفيما يرتبط بها من مصالح غير مشروعة ، عقل قادر على أن يدرك الكليات والغايات من الوجود الإنساني.

- وقد ساهم التيار النقدي في كشف الجذور المادية والأصول الوجدانية التي تأسس عليها المشروع الحداثي الغربي والعقل الذي تشكل في ظل هذه المنظومة الثقافية المتكاملة ، وفي منطق السيطرة الشامل الذي حكم سلوك الإنسان الغربي وفي تجلياته المادية المتجذرة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة وفي هدره لإنسانية الإنسان.

وإذا كانت قيم العقلانية والفردانية وحقوق الإنسان وغيرها .. تمثل قيم الحداثة التي يتفاخر بها الغرب والتي قادته إلى التقدم التكنولوجي والمادي ، فإن تلك القيم ينبغي أن تخرج من دلالاتها في إطار السياق الغربي ونظريته المادية العلمانية لكل الأمور ، لتأخذ هويتها العربية الإسلامية التنويرية ولتصبح قيم حقيقية وليست شعارات زائفة براقة فقط للعرض والجذب والاختراق للثقافات الأخرى. وهنا نتحدث عن مهمة نقدية بالدرجة الأولى حتى لا نقف عند حد الانبهار ببريق المفاهيم

والشعارات ثم تسقط حال القيام بتطبيق دلالاتها في الواقع وتسقطه معها ، مثال العديد من القيم والمفاهيم كالمساواة ، والديمقراطية ، والحرية والجودة والمواطنة العالمية وغيرها . والمهمة النقدية هنا تنصب بشكل أساسي على المضمون إذ أن شكل أو اسم القيمة أو المفهوم لا مشكلة فيه ، فدلالات ومضامين القيمة والمفهوم وتضمنياتها الفلسفية والايديولوجية وآليات تطبيقها هو ما يتطلب عمق الرؤية وضرورة الاهتمام. فإذا تلاقت اللغة (مفاهيم ومبادئ) مع قنوات العمل والفعل فإن ذلك يمثل اللحظة الإلماعية ، حيث تتحقق المبادئ كما تم صياغتها باللغة ذات الطاقة الإيجابية العالية. وهذا يتطلب الوعي النقدي تجاه كل ما يفد إلينا من الغرب من مفاهيم نشأت في ظل ظروف غربية وسياق غربي ليست ظروف ولا سياق مجتمعاتنا ولا ترتبط بخصوصيتها.

ويرى "فؤاد زكريا " أن: "توع المفاهيم المستخدمة في طرح المشكلة له تأثير في طريقة فهمنا للمشكلة نفسها ، وأن المسألة كلها ليست مجرد ألفاظ متباينة تعبر عن جوهر واحد فحقيقة الأمر هي أن الألفاظ التي نعبر بها عن المشكلة تؤثر إلى حد كبير في بلورة تفكيرنا ازائها وتحديد موقفنا منها"(زكريا ، ٢٠١٠ ، ٢٧).

ويرى "المسيري" في موضوع المفاهيم والمصطلحات التي تتخذ حيز أكبر مما ينبغي بحيث توحى بالسيطرة والنهائية والغلبة عن غيرها ... مثل : مصطلح "الغربي" الذي يجب أن يفقد مركزية المعرفية الوهمية لدينا:

فيقول: بدلا من الحديث عن الديمقراطية يمكن التحدث عن آليات مشاركة الجماهير في صنع القرار وما الديمقراطية سوى أحد أشكال المشاركة تماما مثل "الشورى" .. وبذا يفقد المصطلح الغربي مركزيته المعرفية الوهمية ، ويصبح إحدى الشفرات التي يمكن فكها عن طريق مصطلح أكثر عمومية ويصبح مجرد جملة أو تركيبة لفظية داخل لغة إنسانية عامة .. تلك اللغة التي لم يتم اكتشاف قواعدها بعد . فالموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية ليست عالمية وإنما غربية . على الرغم من أن بعض كاتبها من العالم الثالث ، فمادجها التحليلية ومصطلحاتها إما غربية أو متمركزة حول الغرب(المسيري ٢٠١١ ، ١٤٦).

وهذا يشير إلى بعض إشكاليات العقل اللغوي العربي ومنها: إشكالية العقل اللغوي والبحث العلمي وصنع القرار في المجتمعات العربية. وإشكالية العقل اللغوي و تحديد المفاهيم ومرونة اللغة

عبر الزمان وتغير الظروف. ويُعد مفهوم المواطنة العالمية متماها مع ماهو عام دون أن تأخذ ضمانات للحفاظ على ماهو ديني وأخلاقي وثقافي..وما هو خاص.

ويمكن اعتبار "مالك بن نبي" من الرواد الأوائل الذين انتبهوا في وقت مبكر إلى خطورة استيراد المناهج والنظريات الغربية من دون الانتباه إلى ما تحمله من صلات بالمركزية الغربية ذات الأصول اليونانية والرومانية .. وإذا لم يجد البدائل الفكرية والمنهجية التي تتسجم مع عقيدته وواقعه ، فإن هذا يعني أن هذا المجتمع سيبقى يعاني من التبعية ولن ترتقي أفكاره إلى درجة الاستقلال والتحرر الشاملين ، لأن من لا يضع أفكاره ومناهجه الرئيسية ستسيره أفكار ومناهج الآخرين ، ولا يمكن له على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لنهوضه (رضا ، ٢٠١٨ ، ٢٥٧).

ج: الوعي النقدي بالموقف الحضاري العربي: (التراث - الوافد - الرؤية المستقبلية)

يبدأ الوعي بنقد الموروث والبناء عليه ، ويستمر بنقد الوافد حتى يمكن تكوين رؤية مستقبلية حقيقية تضع معايير اللغة والثقافة العربية في أولوياتها حتى يمكن أن يكون لدينا موقف عربي حضاري واضح من القضايا الكبرى. ويمكن تحقيق ذلك من خلال العديد من التدابير والآليات ومنها:

- الوعي باللغة وأهميتها .. كفكر ، كحرية ، كتنمية ذاتية ، كإبداع ، كجمال ، كخيال ، كمستقبل .. كهوية تحمل في طياتها الزمان والمكان فكرا وثقافة وحياة كاملة.
- الوعي بجذور وأصل المفاهيم وسياق نشأتها وظروف وجودها ونقلها.
- الوعي بما تحمله الكلمة أو المفهوم من تحيزات ايديولوجية.
- تشجيع الفصحى لغة قومية ، فالعامية لا تصلح لغة قومية وفي إطار تكوين وحدة عربية.
- مواجهة التحديات التي تواجه استيعاب اللغة العربية لمستجدات عصر العلم والتقانة.
- التجدد الثقافي وحضور الثقافة الوطنية والقومية بشكل دائم في المحافل المحلية والاقليمية والدولية.
- العمل على تقوية الانتماء للثقافة العربية وتشكيل العقل على الاعتزاز بالهوية العربية والاسلامية.
- تفكيك المفاهيم المغلوطة والأفكار الهدامة التي يتبناها الشباب بدون وعي.

- مقاومة اغتيال العقل اللغوي العربي من خلال العولمة والاتجاهات الفكرية المعادية للثقافة العربية ، بمقاومة اغتيال المفاهيم الأصيلة في ثقافتنا وتنفيذ وفحص ونقد ما يفد إليها من مفاهيم.
- تكوين الحس الايجابي المفقود تجاه اللغة وتذوق الفاظها..حيث تتكون لدى الإنسان منظومته العقلية اللغوية.
- استثمار العقل اللغوي العربي وتعظيم امكاناته في الانتاج الفكري النظري/الفلسفي/التطبيقي في كافة المجالات إلى أعلى حدوده وطاقاته.
- علاج ومواجهة الأوضاع المتردية في التعليم والتي منها سوء تعليم اللغة العربية ولغة التعليم بها.
- وضع الضوابط والمعايير في تدويل التعليم لضمان الحفاظ على اللغة العربية والهوية الثقافية عموماً.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أحمد، قاسم (١٩٩٧)، نحو نظام إنساني ليبرالي جديد، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات. منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- المسيري، عبد الوهاب (٢٠١٩). رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر سيرة غير ذاتية وغير موضوعية، ط ١٠، القاهرة: دار الشروق.
- " (١٩٩٩). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية "ج" مج ٥. اليهودية المفاهيم والفرق. القاهرة: دار الشروق.
- " (٢٠١١). العالم من منظور غربي. القاهرة: دار الشروق.
- " (٢٠١٦). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط ٥، القاهرة: (مج ٢)، دار الشروق.
- " (٢٠١٨). رhabة الإنسانية والإيمان "دراسات في أعمال فكريين علمانيين وإسلاميين من الشرق الغرب، ط ٢، القاهرة: دار الشروق.
- " (٢٠١٨ب). العالم من منظور غربي، ط ٢، القاهرة: دار الشروق.
- " (١٩٩٤). محاضرة: التيارات الفكرية الغربية المعاصرة وأثرها في الشرق المسلم. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- بسكاي، فكرت (١٩٩٧م): ما العمل ضد الليبرالية الجديدة والعولمة الاقتصادية، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- بسيوني، محمد (١٩٩٧م): تفاعل المثقفين العرب مع الثقافات الوافدة، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟ منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- تركي، عبدالفتاح (١٩٩٣). نحو فلسفة تربوية لبناء الإنسان العربي. الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- تيزيني، الطيب (١٩٩٧م)، العالم العربي في مواجهة الهيمنة الغربية، المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات. منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.

- جوموك، س & إسلام، محمد (١٩٩٧م)، صدام أم حوار؟ توجيه الأفكار الاقتصادية للعصر الجديد، المؤتمر الدولي "صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟" منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- رسول ، بكر محمود (١٩٩٧م)، نحو نظام إنساني تحرري جديد، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارة أم حوار الثقافات؟. منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- رضا ، إبراهيم (٢٠١٨): مالك بن بني من حضارة الكم والأشياء إلى حضارة الإنسان والقيم . في المسيري ، عبد الوهاب: رحابة الإنسانية والإيمان ، القاهرة ، دار الشروق.
- أمين ، جلال (١٩٩٩). التنوير الزائف . اقرأ سلسلة ثقافية شهرية (٦٤٠). القاهرة: دار المعارف.
- زايد ، أميرة عبد السلام (٢٠٢١). تحرير العقل..المسيري وفلسفة إنسانية بديل العلمانية. الأسكندرية . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- زكريا ، فؤاد (٢٠١٠). خطاب إلى العقل العربي . سلسلة الفكر . القاهرة : مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- سارتر ، جون بول (ب.ت). عارنا في الجزائر. القاهرة: الدار القومية.
- ضاهر، مسعود (١٩٩٧م، صدام الحضارات كمقولة أيديولوجية لعصر العولمة الأمريكية المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟ منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- العالم ، محمود أمين (١٩٩٧). حضارة واحدة وثقافات متعددة"مقاربة نظرية عامة". المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟". القاهرة: منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية.
- العالم ، محمود أمين (١٩٩٩). العولمة.. وخيارات المستقبل. قضايا فكرة الكتاب ١٩ ، ٢٠ . بعنوان: الفكر العربي بين العولمة والحداثة وما بعد الحداثة. القاهرة: قضايا فكرية للنشر والتوزيع.
- عمار ، حامد (٢٠٠٠). مواجهة العولمة في التعليم والثقافة ، دراسات في التربية والثقافة (٨) ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب.
- غليون ، برهان (١٩٩٠). اغتيال عقل ، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، ط ٣ ، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- قمبر، محمود (١٩٩٢). التربية وترقية المجتمع ، دراسات (د) ، دار سعاد الصباح ، مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية.

- محمود ، مصطفى (٢٠٠٨). لماذا رفضت الماركسية . الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود . قطاع الثقافة. القاهرة: دار أخبار اليوم.
- هيرتس ، نورينا (٢٠٠٧). السيطرة الصامتة..الرأسمالية العالمية وموت الديمقراطية. ترجمة:صدقي خطاب.عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.ع(فبراير ٣٣٦).
- وطفة ، علي (٢٠٠١). التربية العربية بين حدثين:بحث في إشكالية الحداثة التربوية. مجلة شؤون عربية ع(١٠٧).القاهرة: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.
- يسين، السيد (١٩٩٧). حوار الحضارت في عالم متغير، المؤتمر الدولي حول صراع الحضارت أم حوار الثقافات؟ منظمة تضامن الشعوب الأفريقية.
- يسين، السيد (٢٠٠٤). الإمبراطورية الكونية الصراع ضد الهيمنة الأمريكية. القاهرة: مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية. دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- العليبي، فريد (ن،ت) هذه هي المواطنة الكونية "قأين الأوطان؟ على موقع:
<https://www.almayadeen.net.culture>

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Zayed, A. A. (2009). **L'éducation et post-modernité entre l'objectivité et la subjectivité "Vision morale"**. La Revue de Recherches en Education, Université de Nantes, (CREN), France, 6, 139-147.
- Warnock, Mary. **Moral Values** in: Halstead, J.M & Taylor, M. J, (Editors) (1996). **Values in Education and Education in Values**, London. Falmer Press. Chapter 4, pp 45-53.
- Wong, C; Hoffman, D (2016). **Are We World? A Critical Reflection on selfhood in U.S global Citizenship Education**. Multilingual Journal.V.24. N.56 ,1-22.
- UNESCO, (2019). Addressing global citizenship education in Ale-Part1, Thematic studies. Education 2030.UIJ, APCEIU, united nations.